

العدد الثامن والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ

الراصد

وحصاد أربع سنوات



مجلة الراصد الإسلامية

العدد الثامن والأربعون – جمادى الاخرة 1428هـ




فاتحة القول

الراصد ومسيرة أربع أعوام

بصدور هذا العدد تكون مجلة الراصد قد أكملت اربع سنوات من عمرها، وقد شهدت هذه السنوات أحداثاً جسيمة ووقائع فظيعة لن تمحى من سجل التاريخ، وستدوّن إلى جوار أخبار التتار والمغول وحروب الفرنج وعباد الصليب. كما شهدت هذه الأعوام خيانات وجرائم جديدة تضاف إلى سجل الروافض والشيعة.

وقد اثبتت الأيام صواب رؤية الراصد والتي حذرت من الخطر القادم للشيعة، وأن الفرق بعامة ستكون وسيلة اليهود والصهاينة لاختراق المجتمعات الإسلامية، وقد كشفت التقارير الامريكية الحديثة كتقرير راند الأخير عن تفاصيل هذه الرؤية لإستغلال هذه الفرق (الشيعة، الصوفية، الأحباش ..) لحرب الإسلام ودعاة العودة للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، والذين هم شوكة في حلق أعداء الإسلام .

كما أننا في الراصد حذرنا من الإنخداع ببعض المجموعات الشيعية والتي ظهر للناس منها نوع صراع مع اليهود أو أمريكا ، ولكن سرعان ما ظهرت الحقائق فإذا جيش المهدي هو أكثر من أسال دماء المسلمين العزّل في العراق، وإذا حزب الله يحاول ابتلاع لبنان !!

وسبق للراصد أن حذرت من جهود التبشير بالتشيع في أوساط المسلمين والحركات الإسلامية، وسرعان ما ظهر للعيان جهود الشيعة في السودان وفلسطين وسوريا ومصر والمغرب والجزائر، وفي أوساط جماعة الإخوان في الأردن وحركة الجهاد في فلسطين .

وقد تنبأت الراصد بأحداث لبنان الأخيرة في مخيم نهر البارد، قبل سبعة شهور حيث توقعنا من خلال دراسة "المكر الصفوي والغباء القاعدي" أن عناصر القاعدة أو أنصارهم سيكونون هم من يفك الطوق عن حزب الله بإثارة المشاكل والصراعات لصالح سوريا وحزب الله، ضد الحكومة السنية والقوات الدولية، لترسيخ أن الخطر السني هو الخطر الحقيقي لا الخطر الشيعي .

حيث قلنا في فاتحة القول عدد 41 بتاريخ ذو القعدة 1427هـ ما يلي : " ويقابل الإخوان المسلمين تيارات العنف من عصبة الأنصار والقاعدة وغيرهما، والتي لا ترى العالم إلا من منظار تصويب بندقية، ولكنها تغفل عن من يوجه بندقيتها !! ولذلك لا نستبعد و لا نستغرب قيام بعضهم بحسن نية - وإن كان فيهم قطعاً من هو خبيث النية كابن سبأ – بالهجوم على القوات الدولية في جنوب لبنان، أو اغتيال بعض الشخصيات اللبنانية بل السنية من أعداء سوريا وحزب الله ، باسم الجهاد ونصرة الدين ولكنه في الحقيقة يقدم الخدمات الجليلة لعدوه بسبب غبائه!!



وحتى لا يستغرب البعض صعوبة أن يقع " التيار الجهادي " في خدمة عدوه، نقول له هل سمعت أن هذه التيارات انتصرت للمجاهدين أو الضعفاء أو بلاد المسلمين من النظام السوري أو الإيراني أو حزب الله اللبناني!!؟؟ مع أن مواقع ومنتديات هؤلاء الجهاديين تصرخ بجرائم هذه الأنظمة في العراق وسوريا ولبنان ؟؟ "
http://alrased.net/show_topic.php?topic_id=477
كما أن الراصد نبهت على وجود كثير من الفرق والطوائف التي لا يعرف عنها إلا المختصون، ومن ذلك طائفة الصابئة والتي لم يسمع بها كثير من الناس إلا بعد حادثة رجم الفتاة التي أسلمت، وغيرها من الطوائف كطائفة الشبك و الأغاخانية والبهرة.
وبفضل الله تم تحقيق كثير من أهداف الراصد والتي منها: توعية أهل السنة بخطر ما يقوم به قادة الفرق الضالة من مؤامرات ومكائد، وتنبه كثير من المسلمين لأهمية دور العقائد في حركة الطوائف والحركات المبتدعة، وتشكل وعي نقدي تجاه ألاعيب الفرق الضالة، وترسخ قناعة بأهمية رصد ومتابعة هذه الفرق الضالة والتي يراد أن يكون لها دور بارز في قيادة الأمة نحو تحقيق مصالح ومطامع الآخرين.
ومن الأهداف المنجزة كذلك: تحذير الكثير من الشباب الصادق والمخلص من خدمة مخططات الفرق الضالة عبر تنفيذ أجندات مشبوهة باسم الجهاد والمقاومة. ولم يمكن تحقيق هذه الأهداف بعد توفيق الله إلا بجهود الخيرين والجنود المجهولين الذين كانوا يبذلون الكثير من أوقاتهم وجهودهم لتتواصل المسيرة، فلهم جميعاً الدعاء من الله بأن يجزيهم عنا خير الجزاء ويجعل هذه الجهود في موازين أعمالهم .
ولا يزال من الأهداف الكبري لمجلة الراصد، بلورة مشروع إسلامي متكامل للتصدى لهجمة الفرق الضالة ومن خلفها، ومعالجة قضية الرصد والتحليل للماضي والحاضر لتجنب مزالق المستقبل، وترسيخ الوعي النقدي بالخطر وكيفية المساهمة بعلاجه.
هذا المشروع الذي لم ينجز كاملاً يهدف للتحول من الدفاع إلى الهجوم بدعوة هؤلاء الناس وخاصة عوامهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وإرساء قواعد علمية شرعية واجتماعية وسياسية تتناقلها الأجيال لتتواصل المسيرة وتخرج من إطار الفردانية.
وهنا يأتي دورك أنت أخي القاريء الكريم لخدمة هذا المشروع المبارك بتقديم ما يلي:
*الالتزام بتسجيل عشرة عناوين بريدية لأصدقائك في قائمة المراسلات لتصل الراصد لأكبر شريحة ممكنة.
*المشاركة بالتعليق والتصويت على المقالات والأبحاث.
*نود من القادرين على الكتابة أن يقدموا لنا إسهاماتهم.
*تزويدنا بمواضيع تشعر أنها مهمة ولم نتاولها في أعداد الراصد.
*إذا توفرت لك أخبار أو مقالات تراها مهمة نرجوا تزويدنا بها .

للأسف أن رسائل الشتم والسب التي تردنا أكثر من رسائل النصح والتصحيح فلذلك نأمل أن تكتب لنا ملاحظاتك. نحتاج كل فكرة بناءة تساهم في دفع وتطوير مجلة الراصد . نرحب بكل مساعدة معنوية أو مادية كطبع بعض الأعداد وتوزيعها أو طباعة بعض الأبحاث أو كتاب الراصد.ونعدكم أن نكون عند حسن ظنكم ونقدم لكم المزيد من المفيد والنافع والله ولي التوفيق ،،،



سلسلة الطرق الصوفية

خامساً: التيجانية

نسبتها ونشأتها:

تنسب الطريقة التيجانية إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني، المولود في قرية عين ماضي، في الجزائر سنة 1150هـ (1737م)، والمتوفى سنة 1230هـ (1815م). وكعادة زعماء الطرق الصوفية، ينسب التيجاني نفسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وزاد على الصوفية بذلك، إذ ادّعى أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، فردّ عليه أن نسبه إلى الحسن بن علي صحيح[1].

وقد كان التيجاني في بادئ أمره منتمياً إلى الطريقة الخلوتية[2]، إضافة إلى القادرية والناصرية، لكنه بعد أن درس علوم التصوف، والتقى بعدد من شيوخ الصوفية في أسفاره، ترك هذه الفرق، وأسس طريقة جديدة في سنة 1196هـ، وكان ذلك في قرية أبي سمعون في الجزائر، ثم ارتحل إلى مدينة فاس بالمغرب سنة 1213 هـ، واتخذها قاعدة لنشر دعوته، وبقي بها حتى مات[3].

ويدعي التيجانيون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أسس هذه الطريقة! إذ يقولون أن التيجاني عندما رجع إلى قرية أبي سمعون واستوطن بها، وقع له فيها الفتح سنة 1196هـ، وأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق، وعيّن له الورد الذي يلقنه...[4]. ومن المغرب العربي، انتشرت هذه الطريقة في أفريقيا بعد ذلك انتشار النار في الهشيم[5]. ويسمي أتباع هذه الطريقة أنفسهم "الأحباب".

من عقائدهم:

1- إيمانهم بعقيدة وحدة الوجود[6] الفاسدة، على نحو ما يؤمن به الصوفية، إذ يقول التيجاني: "كل ذرة في الكون هي مرتبة للحق سبحانه وتعالى..." ولا يكون هذا إلاّ لمن عرف وحدة الوجود، فيشاهد فيها الفصل والوصول بأن الكثرة عين الوحدة، والوحدة عين الكثرة"[7].

ويقول عبيدة الشنقيطي التيجاني، وهو من أكبر أعلام هذه الطريقة: "وحدة الوجود اعتقاد صحيح شرعاً، يقبله العقل السليم بالوهب الإلهي، والفيض الرحماني، وإن لم يدركه بالنظر الفكري، لغموضه، وكونه فوق طوره"[8].

---

1 "دراسات في التصوف" (ص263)، نقلاً عن "جواهر المعاني".

2 إحدى طرق الصوفية، ومؤسسها هو محمد بن أحمد الخلوتي، أحد أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري.

3 "وحدة الوجود الخفية" (ص216).

4 "التيجانية" للدخيل الله ، (ص58) نقلاً عن "جواهر المعاني".

5 "وحدة الوجود الخفية" (ص216).

6 من أهم عقائد الصوفية وتعني أن الله تعالى والعالم شيء واحد. "وحدة الوجود الخفية" (ص 28).

7 "وحدة الوجود الخفية" للقصير (ص217)، نقلاً عن "جواهر المعاني".

8 "وحدة الوجود الخفية" للقصير (ص219) نقلاً عن "ميدان الفضل والأفضال".



2- إيمانهم بالفناء[1]، ومن ذلك قول التيجاني: "... ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنه يشم رائحة منها فقط، انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة، فيكون أمره أولاً ذهولاً عن الأكوان ثم سكراً ثم غيبة وفناء مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء..."[2] .

3- ادعاؤهم أن أتباعهم يدخلون الجنة مهما عصوا، إذ ادّعى التيجاني أن من رآه دخل الجنة ولو كان كافراً، وأن جميع آبائه وأمهاته في الجنة، وجميع أتباعه. وقال: " وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي،..."[3] .

4- الدعوة إلى الاستعانة والاستغاثة بغير الله، إذ حفلت كتبهم بالحث على الاستغاثة بشيخهم التيجاني، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم[4]، وقالوا: "وأما كيفية التوسل به رضي الله عنه وبجده صلى الله عليه وسلم، فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصلِّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة "الفاتح لما أغلق" مائة مرة، واهدِ ثوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول: يا رب توسلت إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني، وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً"[5].

5- ادعاؤهم أن مشايخهم يعلمون الغيب، وأنهم ورثوا مفاتح الغيب من محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقولون عن شيخهم التيجاني: "ومن كماله رضي الله عنه ونفوذ بصيرته الربانية، وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار مضمرات، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات"[6].

6- الغلو في شيوخهم، وعلى رأسهم التيجاني، تغلوّاً كبيراً، إذ يقول التجاني عن نفسه: إن روحه صلى الله عليه وسلم، تمدّ الرسل والأنبياء، وتمدّ الأقطاب والعارفين، من الأزل إلى الأبد. وإذا جمع الله تعالى خلقه في الموقف، ينادي منادٍ بأعلى صوته، يسمعه كل من في الموقف: يا أهل المحشر! هذا إمامكم (أي التجاني) الذي كان مددكم منه، فكل ما فاض من ذوات الأنبياء، تتلقاه ذاتي (أي التجاني)، ومني يتفرق على جميع الخلائق. ويصفه تابع له بقوله: إذا توجه أغنى وأقنى. وقال آخر: لا يتلقى واحد من الأولياء فيضاً من حضرة نبي إلاّ بواسطته[7].

---

1 الفناء: من أهم العقائد التي يقوم عليها التصوف، ومعناه: فناء العبد في ذات الرب، فتزول الصفات البشرية، وتبقى الصفات الإلهية. وهذا المعتقد الفاسد من أهم ما يدل على اعتقاد الصوفية بحلول ذات الله تعالى في العبد "دراسات في التصوف" (ص 289).

2 "التيجانية" (ص96)، نقلاً عن "جواهر المعاني".

3 الفكر الصوفي للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق (ص355)، نقلاً عن "رماح حزب الرحيم".

4 التوجه إلى الله بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته بدعة منكرة لم يفعلها أحد من سلف الأمة المشهود لهم بالخير.

5 المصدر السابق (ص361)، نقلاً عن "رماح حزب الرحيم".

6 "التيجانية" (ص104) نقلاً عن "جواهر المعاني".

7 "الموسوعة الصوفية" (1/98).



يقول الدكتور الحفني معلّقاً على ذلك : "ونعت التجاني لنفسه بأنه يغني ويقني (يفقر) ويعلم الغيب هو نعتٌ من نعوت الله: (وأنه هو أغنى وأقنى)[1] (عالِمُ الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)[2]. وصفات الإلهية والربانية لا يوصف بها البشر، وقوله يخرجه من دائرة الإسلام"[3].

من كراماتهم المزعومة:

1- دأبت كل طريقة صوفية على اعتبار شيخها أفضل الأولياء، وقد سارت التجانية على هذا النهج، وبالغوا في الثناء على شيخهم التيجاني حتى أوصلوه إلى مرتبة الربوبية ـ عياذاً بالله ـ إذ رووا عنه قوله: "إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي، ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور".

وقال عنه أتباعه: "لا يتلقى ولي فيضاً من الله تعالى إلاّ بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومدده الخاص به إنما يتلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم"[4].

2- الادعاء بأن التيجاني أول من يدخل الجنة، هو وأصحابه وأتباعه، وأن الله شفّعه في جميع الناس الذين عاشوا في القرن الذي عاش فيه، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطاه ذكراً يسمى "صلاة الفاتح" يفضل أي ذكر في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم[5].

3- دخول الجنة لمن رأى التيجاني يومي الاثنين والجمعة! يقول صاحب كتاب "الفتح الرباني": "ومن رآه رضي الله عنه يوم الاثنين أو يوم الجمعة يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب بضمانته صلى الله عليه وسلم، وكذلك من رآه في بقية أيام الجمعة (الأسبوع) ولكن يختص رائيه اليومين المذكورين بأن يسعد سعادة لا شقاوة بعدها، يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلاّ من سبق في علمه تعالى أنه يكون سعيداً، ويدخل في ذلك الكافر"[6].

4- وقد حكى علي بن حرازم عن أولياء يملكون كلمة "التكوين"، فيقولون للشيء كن فيكون[7].

أذكارهم وأورادهم الخاصة:

للتيجانيين مجموعة كبيرة من الأوراد والأذكار المبتدعة، منها ما هو لازم لمن دخل الطريق، ومنها ما هو اختياري[8].

أولاً: الأوراد اللازمة: 1- الورد: ويقرأ صباحاً مساءً، وهو:

ـ استغفر الله (مائة مرة).

ـ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي صيغة (مائة مرة).

---

1 سورة النجم/ 48.

2 سورة الجن 26- 27.

3 "الموسوعة الصوفية" (1/ 98).

4 "الفكر الصوفي" (ص363)، نقلاً عن "بغية المستفيد".

5 "الفكر الصوفي" (ص351).

6 "دراسات في التصوف" (ص267).

7 "الموسوعة الصوفية" (ص923).

8 "التجانية" (ص260).



ـ الكلمة المشرفة لا إله إلاّ الله (مائة مرة). ولا بد من الترتيب في الأوراد[1].

ويرى التجانيون أن هذا الورد هو طريق المريد للوصول بشيخه، وبالله عز وجل[2].

2- الوظيفة: وتقرأ في اليوم، مرة إما صباحاً وإما مساءً وهي:

ـ استغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم (30 مرة).

ـ صلاة الفاتح لما أغلق[3] (50 مرة).

ـ لا إله إلاّ الله (100 مرة).

ـ جوهرة الكمال[4] (12 مرة).

3- ذكر الجمعة: بذكر "لا إله إلاّ الله" ساعة أو أكثر متصلة بغروب الشمس بعد صلاة العصر يوم الجمعة. ويشترط في هذا الذكر ما يشترط بجوهرة الكمال من الطهارة المائيـة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم - بزعمهم - يحضرها[5] .

ثانياً: الأوراد الاختيارية:

وهي كثيرة جداً منها: ياقوتة الحقائق، الصلاة الغيبية، الحزب السيفي، حزب البحر، الأسماء الإدريسية، استغفار الخضر، صلاة رفع الأعمال، المسبعات العشر، دعاء في قوت القلوب. ويشترط فيها الإذن الخاص من الشيخ، أو من يقوم مقامه[6] .

أهم شخصياتهم:

إضافة إلى مؤسس هذه الفرقة التجاني، فقد برز منها:

1- علي حرازم المغربي الفاسي، وهو أكبر خلفاء التجاني في حياته وبعد مماته. قال عنه التيجاني في رسالة بعثها إلى أهل تلمسان: "هو عوض عن نفسي وخليفتي، وقد أقمته مقام نفسي في تلقين أورادي وإعطاء طريقتي وكذا علومي وما انطوت عليه حقيقتي، فهو مني وأنا منه".

---

1 المصدر السابق (ص260).

2 "الطرق الصوفية" للزوبي (ص203). وننوه إلى أن هذه الأذكار مشروعه في أصلها، لكن وضع عدد معين لها وترتيب معين وبشكل يومي دون سند من القرآن والسنة يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قصر في إبلاغ الناس طريق الوصول إلى الله!!

3 ذكر ابتدعه التجانيون، وفضلوه على كل ذكر قرئ في الأرض، وجعلوا قراءته أفضل من قراءة القرآن الكريم بستين ألف مرة وهو: "اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم".

4 صلاة مبتدعة اشترطوا لقراءتها الطهارة المائية فقط، دون التراب لو فقد الماء، فرفعوها بذلك فوق منزلة القرآن الكريم والصلاة، وفيها من ركاكة الألفاظ والمعاني السيئة الشيء الكثير، وهذه الصلاة هي: "اللهم صلّ على عين الرحمة الربانية... والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني...".

5 "التجانية" (ص261).

6 المصدر السابق (ص262).

وقد التقى ابن حرازم بالتجاني أول مرة في مدينة "وجدة" المغربية في سنة 1191هـ، وذلك عندما ارتحل التجاني من تلمسان إلى فاس، وقد لقنه الطريقة الخلوتية، قبل أن يبتدع طريقته الجديدة. وقد توفي ابن حرازم سنة 1217هـ.

وعلي حرازم هو مؤلف أهم كتب الطريقة التيجانية، وهو كتاب "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني". وقد قرأه مؤلفه بعد جمعه، على شيخه أحمد التجاني، فأجازه في سائر ما فيه "وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسجد الديوان، فجاء بحمد الله محفوفاً باليمن والإسعاد..."[1].

وكتاب" جواهر المعاني" يتحدث عن فضل شيخهم وصفاته وكراماته المزعومة... وبلغ من الأهمية بمكان عندهم أن زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ألّفه إذ زعموا أنه صلى الله عليه وسلم قال: "كتابي هذا وأنا ألفته"[2].

2- محمد بن المشري. كان أول اجتماعه بالتجاني سنة 1188هـ، وقد لقنه التجاني الطريقة الخلوتية قبل أن يبتدع طريقته الجديدة. كما اتخذه إماماً في الصلاة حتى سنة 1208هـ.

ولما نبغ ابن المشري خشي التجاني أن ينافسه مشيخة الطريقة، فأمره بالخروج إلى الصحراء، كما فعل مع نظيره السابق علي حرازم.

من أهم مؤلفاته:

- كتاب "الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم".
- كتاب "نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء".

3- عمر الفوتي السنغالي، المتوفى سنة 1281هـ (1864م)

كانت له حروب ضد الوثنيين وعملاء الاستعمار في أفريقيا.

من مؤلفاته:

- كتاب "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" وتحدث فيه عن أمور شتى مثل تفضيل الذكر على سائر الطاعات، والأمور التي تزيد في الإيمان، والحث على الدخول في طريقتهم، وغير ذلك.
- كتاب سيوف السعيد.
- كتاب "سفينة السعادة".

4- أحمد سكيرج العياشي، المولود بفاس بالمغرب سنة 1295هـ، وقد تولى القضاء سنوات طويلة، كما أنه من أكثر التجانيين كتابة وتأليفاً، وبلغت مؤلفاته حوالي 140 مؤلفاً منها: "الكوكب الوهاج"، قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، "قرة العيون في الجواب عن الأسئلة المودعة خبيئة الكون"، "كشف الحجاب عمن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب".

وقد توفي أحمد سكيرج في مدينة مراكش المغربية سنة 1363هـ (1944م).

5- محمد الحافظ التيجاني: شيخ الطريقة التجانية السابق في مصر، ولد سنة 1315هـ، وتوفي سنة 1398هـ. من مؤلفاته: الحق في الحق والخلق، قصد السبيل

---

1 "التيجانية" (ص50) نقلاً عن "بغية المستفيد".

2 المصدر السابق.

في الطريقة التجانية، التوفيق بين الطوائف المعاصرة في الأصول، شروط الطريقة التجانية[1] -. وقد أسس في عام 1370 هـ مجلة "طريق الحق"، لنشر الطريقة.

6- أحمد الحافظ التيجاني: شيخ الطريقة الحالي في مصر.

فروعها وانتشارها:

للطريقة التيجانية سلسلة واحدة تعود إلى المؤسس، وليس من حق أحد من الأتباع إعطاء العهد لأي واحد بعد ذلك[2]. وتعتبر دول أفريقيا معقل هذه الطريقة، وخاصة المغرب والسنغال. وقد حلت طريقتهم هناك محل الطريقة القادرية.

وقد ساهم تنقل التجاني بين المغرب وتونس والجزائر، إلى نشرها في تلك البلدان، التي تشجع له بعض حكامها، وساهموا في رعايتها ونشرها.

أما في أفريقيا السوداء، فيعود انتشار التجانية إلى جهود عمر الفوتي، الذي تم الإشارة إليه قبل قليل، والذي دخل في حروب مع الوثنيين وعملاء الاستعمار، والمستعمر الفرنسي، واستطاع تأسيس دولة في أفريقيا هي دولة سوكوتو[3] .

---

1 للاستزادة في ترجمة أعلام هذه الطريقة: "التجانية" للدخيل الله (ص 67- 74).

2 "الطرق الصوفية في القارة الأفريقية" (ص55).

3 المصدر السابق (ص56)، و"الطرق الصوفية" للزوبي (ص196).

الباطنية يقتلون الأمير مودود في بيت المعبود

تعود بنا الذاكرة في هذه السطور إلى العام 507هـ/ 1113م، حيث قتل الباطنية الأمير مودود، الذي كان السبّاق لقتال الصليبيين في بلاد الشام، واشتهر رحمه الله بأنه كان "ديّناً عادلاً كثير الخير".

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يقدم فيها الباطنية من فرقة الإسماعيلية على قتل علماء المسلمين وأمرائهم ومصلحيهم، ففي سنة 485هـ أقدم الباطنية من الحشاشين الإسماعيلية على قتل الوزير نظام الملك، الذي كان له الدور الكبير في الحفاظ على دولة الخلافة العباسية من المؤامرات الباطنية، وعمل على نشر مذهب أهل السنة والجماعة، والعلوم الشرعية.

وفي سنة 571هـ حاول الباطنية اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي كان قد أنهى حينها الدولة العبيدية الفاطيمة الشيعية التي جثمت على صدور المسلمين عدة قرون، كما كان السلطان في تلك الفترة منهمكاً بقتال الصليبيين.

وجاء قتل الأمير مودود بين تلك الجريمة، وتلك المحاولة ليؤكد على الأسلوب الذي انتهجته الباطنية بقتل أمراء أهل السنة وعلمائهم، ظناً منهم بأن هذا الأسلوب كفيل بالقضاء على مذهب ودعوة أهل السنة. وفي سنة 502هـ تولى الأمير مودود بن التونتكين ولاية الموصل، وكانت بلاد الشام القريبة من ولاية الموصل تعيش أجواء الحملة الصليبية الأولى التي بدأت سنة 489هـ عندما خشي الصليبيون أن يعود المسلمون إلى قوتهم في أعقاب ما حققوه من انتصارات في معركة ملاذ كرد سنة 463هـ بقيادة ألب أرسلان السلجوقي، وفي معركة الزلاقة في الأندلس سنة 479هـ بقيادة يوسف بن تاشفين.

ولكن بعض العوامل أدت إلى ضعف دولة السلاجقة، ودخول بعض القبائل البربرية في النصرانية، وتحقيق الإمارات الإيطالية بعض الانتصارات على أمراء البحر المسلمين الذين كانوا يعيقون عمل السفن الإيطالية في البحر المتوسط، الأمر الذي جعل البابا إيربان الثاني يشعر بأن الظروف مواتية لغزو بلاد المسلمين واحتلال أراضيهم، خاصة بلاد المقدس، وبعد النفوذ الذي حصل عليه إيربان بعد اختياره بابا لروما سنة 481هـ.

دعا إيربان إلى اجتماع لرجال الدين سنة 489هـ في كليرمونت بفرنسا، ودعا إلى الحرب الصليبية، وطالب الأمراء بترك الخلافات القائمة بينهم، وقدّم لهم الصليب، وجعل مبرراً لهذه الحرب ما يقوم به السلاجقة من مضايقة للحجاج النصارى الذين يريدون بيت المقدس، وطلب أن يحتل النصارى بيت المقدس.

وساهم بهذه الدعوة بطرس الناسك الفرنسي، وسار بجموع المتطوعين، وسبق جيوش الأمراء النصارى النظامية، وأخذوا يسببون الفوضى والدمار لكل المناطق التي مرّوا عليها، حتى النصرانية منها.. وعندما وصلوا إلى بلاد المسلمين أحرقوا الأخضر واليابس وعاثوا في الأرض فساداً، فتصدى لهم السلاجقة في نيقية (جنوب تركيا) فأفنوهم عن بكرة أبيهم سنة 489.

وفي هذه الأثناء بدأت حملة أمراء الجيوش النظامية، فاتجه بعضهم إلى الرها (شمال العراق) واحتلوها وأسسوا بها إمارة نصرانية، وسار باقي القادة إلى أنطاكيا



(شمال غرب سوريا)، فدخلوها عنوة سنة 491، بعد حصار دام سبعة أشهر، وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، وارتكبوا أبشع الجرائم، ثم اتجهوا بعدها نحو بيت المقدس.

فسار لقتالهم كربوقا صاحب الموصل، ودقاق صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم، ودخلوا معرّة النعمان (بين حلب وحماة)، ووصلوا إلى بيت المقدس في عام 492 وقتلوا من أهلها أكثر من سبعين ألفاً، وخاضت خيولهم ببحر من الدماء.

وكان العبيديون الفاطميون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال، فتقدموا هم من الجنوب، وكانوا قد دخلوا القدس، وطردوا السلاجقة منها، قبل وصول الصليبيين، وجرت مفاوضات بين العبيديين، وبين الصليبيين على أن يكون شمال بلاد الشام للصليبيين، وجنوبها للعبيديين، ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر.

وبسيطرة الصليبيين على بيت المقدس، ارتفعت معنويات سكان الإمارات الإيطالية، فبدأت سفنهم تجوب أطراف البحر المتوسط، وتقدم المساعدات والدعم للصليبيين، فاستطاعوا أن يأخذوا حيفا وقيسارية سنة 494، وعكا سنة 497، وطرابلس 503هـ بعد حصار سنتين، كما أخذوا جبلة في العام نفسه، وصيدا في العام التالي. وحاصروا صور عام 505 وكانت بيد العبيديين، فأمدّهم طغتكين صاحب دمشق، الذي سيبرز هو ومودود كأبرز قادة الجهاد ضد الصليبيين في تلك الفترة، بالمؤن والمساعدات، فلم يستطع الصليبيون احتلال مدينة صور.

والدور المشبوه الذي لعبه العبيديون في بداية الحروب الصليبية، يحتاج إلى وقفة، فقد أرسل بدر الجمالي، وزير المستعلي العبيدي، سنة 490هـ، سفارة من قبله إلى قادة الحملة الصليبية الأولى تحمل عرضاً خلاصته ـ كما ذكرنا ـ أن يتعاون العبيديون والصليبيون للقضاء على دول السلاجقة في بلاد الشام، وأن تقسم البلاد بينهما، بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين، في حين يحتفظ العبيديون بفلسطين.

ولمّا قام الأمير كربوق، صاحب الموصل آنذاك من قبل السلاجقة، بتجهيز قوة لمنع سقوط أنطاكيا بيد الصليبيين، وقف العبيديون موقف المتفرج، ولم يكتفوا بذلك، بل استغلوا الفرصة، وسيّروا جيشاً إلى بيت المقدس الذي كان بيد السلاجقة، وحاصروه ونصبوا عليه أكثر من أربعين منجنيقاً حتى تهدمت أسواره، وسيطروا عليه.

وإزاء ما حلّ بالمسلمين من نكبات في بلاد الشام بسبب الحملة الصليبية، خرج الناس من الشام إلى بغداد لاستثارة الخليفة العباسي، والسلطان السلجوقي محمد ملكشاه، لكن المسلمين حينها كانوا في وضع لا يحسدون عليه، فالخلافة تعاني الضعف، والخلافات تدب في البيت السلجوقي، ومؤامرات العبيديين تحاك ضد المسلمين، حتى قال الإمام ابن كثير واصفاً ذلك الضعف: "... وخرج أعيان الفقهاء يحرضون الناس والملوك على الجهاد فلم يفسد ذلك شيئاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون".

لكن ذلك الضعف والتفكك لم يمنع الكثير من المحاولات الجادّة لمحاربة الصليبيين في تلك الفترة، وقد انتصر المسلمين في بعض المعارك، وقد أشرنا إلى أن أولى تلك المعارك التي انتصر بها السلاجقة سنة 489هـ في قونية، في عهد السلطان ركن الدين أبي المظفر ابن ملكشاه.



وبرز اسم أمير الموصل مودود كأحد قادة الجهاد ضد الصليبيين، إلى جانب طغتكين صاحب دمشق، فقد كان لهما همة عالية وجهد كبير في محاربة الحملة الصليبية الأولى، فقد ذكرنا أن طغتكين زوّد العبيديين بالمؤن والمساعدات في صور كي لا تسقط في يد الصليبيين، وكان من أسباب صمودها بحمد الله.

كما أنه أغار في سنة 499هـ على بلاد الجليل في شمال فلسيطين.

أما مودود، فيقول فيه ابن الأثير "وكان خيّراً عادلاً كثير الخير" وقد كان سبّاقاً لقتال الصليبيين لولا خذلان بعض الأمراء له، الأمر الذي جعله يترك العمل مع هؤلاء الأمراء، ويتوجه للعمل مع أمير دمشق طغتكين ويتفق معه على حرب الصليبيين في الشام، ففي سنة 505هـ أغار مودود على الصليبيين، وفي العام التالي سار إلى جهات طبريا، وأغار على مدينة طبريا. وقبل ذلك كان يجمع جنوده في إمارة الرها، وخرب الكثير من بلاد الأرمن الساكنين هناك، الذين كانوا يعانون الصليبيين القادمين من أوروبا، وأسر عدداً من جنود الصليبيين.

وفي بداية سنة 507هـ كان مودود وطغتكين يقودان معركة حاسمة ضد الصليبيين في طبريا، يروي ابن الأثير في "الكامل" بعض أحداثها، فيقول: "في هذه السنة (أي 507هـ) اجتمع المسلمون وفيهم الأمير مودود بن التونتكين صاحب الموصل، وتميرك صاحب سنجار، والأمير أياز بن أيلغازي، وطغتكين صاحب دمشق.

وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق، فغلت الأسعار فيها، وقلّت الأقوات، فأرسل طغتكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال، ويستنجده ويحثه على الوصول إليه، فجمع عسكراً، وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة، فخافه الفرنج.

وسمع طغتكين خبره، فسار إليه، ولقيه بسلميّة، واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس، فساروا إلى الأردن، فنزل المسلمون عند الأقحوانة، ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين، وجوسلين صاحب جيشهم، وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود، وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم، واشتد القتال وصبر الفريقان".

ويتحدث ابن الأثير عن نتائج هذه المعركة فيقول: "ثم إن الفرنج انهزموا، وكثر القتل فيهم والأسر، وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف، فأخذ سلاحه، وأطلق فنجا، وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الأردن كثير، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، ووصل الفرنج إلى مضيق دون طبرية، فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية، فقويت نفوسهم بهم، وعاودوا الحرب، فأحاط بهم المسلمون من كل ناحية، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طبرية فأقاموا به ستة وعشرين يوماً، والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون إلى قتالهم، فلم يخرج منهم أحد، فسار المسلمون إلى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس، وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى".

لكن لبعد جيوش المسلمين عن بلادهم، وانقطاع المادة عنهم، أذن مودود للعساكر في العودة والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة.

وإذا كان بداية هذا العام (507هـ) قد شهد انتصاراً مدوياً للمسلمين بقيادة مودود على الصليبيين وملكهم بغدوين، فما هي إلاّ أيام وأسابيع قلائل حتى شهد ربيع الأول من ذلك العام مأساة قتل الأمير مودود على يد أتباع الباطنية، إذ دخل مودود في

الحادي والعشرين من ربيع الأول من ذلك العام دمشق ليقيم عند أميرها طغتكين إلى الربيع، فدخل الجامع الأموي في ذلك اليوم لأداء صلاة الجمعة، هو وطغتكين، فلما فرغوا من الصلاة، وخرج مودود إلى صحن الجامع ويده في يد طغتكين "وثب عليه باطني فضربه، فجرحه أربع جراحات، وقتل الباطني وأخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأحرق".

وكان مودود رحمه الله يوم طُعن صائماً، فحمل إلى دار طغتكين، وحاولوا أن يجعلوه يفطر كي يسهل علاجه، فرفض، وقال "لا لقيت الله إلاّ صائماً" فمات من يومه رحمه الله.

وفي تفسيره لجريمة قتل مودود يقول ابن الأثير: "فقيل إن الباطنية بالشام خافوه وقتلوه، وتابعه ابن كثير في "البداية والنهاية" إذ يقول" "... فظفر باطني على مودود فقتله رحمه الله، وهكذا نفذ الباطنية الإسماعيلية ما كانوا يصبون إليه من قتل علماء المسلمين ومجاهديهم، ولم يكن مودود أولهم ولا آخرهم.

ومن الأمور العجيبة في هذه الجريمة أن ملك الفرنجة بغدوين لمّا وصله خبر قتل مودود، أرسل رسالة إلى طغتكين جاء فيها: "إن أمة قتلت عميدها يوم يعدها في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها".

للاستزادة:

1- "الكامل في التاريخ" - ابن الأثير الجزء التاسع.
2- "البداية والنهاية" - الإمام ابن كثير الجزء الثاني عشر.
3- "الحركات الباطنية في العالم الإسلامي" ـ د. محمد الخطيب ص 446.
4- "التاريخ الإسلامي" (الدولة العباسية ـ الجزء السادس) محمود شاكر.
5- "أطلس تاريخ الإسلام" ـ د. حسين مؤنس ص 267.
6- "خيانات الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية" ـ د. عماد علي عبد السميع ص 115.

مواقف العلماء والمفكرين من الشيعة

-23-

[هذه سلسلة من البحوث كتبها مجموعة من المفكرين والباحثين عن عقيدة وحقيقة مذهب الشيعة من خلفيات متنوعة ومتعددة ، نهدف منها بيان أن عقائد الشيعة التي تنكرها ثابتة عند كل الباحثين، ومقصد آخر هو هدم زعم الشيعة أن السلفيين أو الوهابيين هم فقط الذين يزعمون مخالفة الشيعة للإسلام. الراصد].

الدكتور محمد حسين الذهبي

وهو من علماء مصر والأزهر، وتولى وزارة الأوقاف المصرية ومن أهم كتبه كتاب "التفسير والمفسرون" وهو الذي اعتمدنا عليه في بيان موقفه من الشيعة.

كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم (ص3/2):

الشيعة في الأصل، هم الذين شايعوا عليا وأهل بيته ووالوهم، وقالوا: إن عليا هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الخلافة حق له، استحقها بوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي لا تخرج عنه في حياته، ولا عن أبنائه بعد وفاته، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحد من أمرين:

أحدهما: أن يغتصب غاصب ظالم هذا الحق لنفسه.

ثانيهما: أن يتخلى صاحب الحق عنه في الظاهر، تقية منه، ودرءاً للشر عن نفسه وعن أتباعه.

وهذا المذهب الشيعي، من أقدم المذاهب الإسلامية، وقد كان مبدأ ظهوره في آخر عهد عثمان رضي الله عنه[1] ثم نما واتسع على عهد علي رضي الله عنه؛ إذ كان كلما اختلط رضي الله عنه بالناس تملكهم العجب، واستولت عليهم الدهشة، مما يظهر لهم من قوة دينه، ومكنون علمه، وعظيم مواهبه، فاستغل الدعاة كل هذا الإعجاب وأخذوا ينشرون مذهبهم بين الناس.

ثم جاء عصر بني أمية وفيه وقعت المظالم على العلويين، ونزلت بهم محن قاسية، أثارت كامن المحبة لهم، وحركت دفين الشفقة عليهم، ورأى الناس في علي وذريته شهداء هذا الظلم الأموي، فاتسع نطاق هذا المذهب الشيعي وكثر أنصاره.

ويظهر لنا أن هذا الحب لعلي وأهل بيته، وتفضيلهم على من سواهم، ليس بالأمر الذي جد وحدث بعد عصر الصحابة، بل وجد من الصحابة من كان يحب عليا ويرى أنه أفضل من سائر الصحابة، وأنه أولى بالخلافة من غيره، كعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله... وغيرهم كثير.

غير أن هذا الحب والتفضيل لم يمنع أصحابه من مبايعة الخلفاء الذين سبقوا عليا رضي الله عنه؛ لعلمهم أن الأمر شورى بينهم، وأن صلاح الإسلام والمسلمين لا بد له من شمل متحد وكلمة مجموعة، كما أن الأمر لم يصل إلى القول بالمبدأ الذي تكاد تتفق عليه كلمة الشيعة، ويرونه قوام مذهبهم وعقيدتهم وهو "أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين

---

[1] وقيل عند انتخاب الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا رضي الله عنه، هو الذي عينه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه"[1].

لم يكن الشيعة جميعاً متفقين في المذهب، والعقيدة، بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلى فرق عدة، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين، كان لهما كل الأثر تقريبا في تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم:

أولهما: اختلافهم في المبادئ والتعاليم، فمنهم من تغالى في تشيعه وتطرف فيه إلى حد جعله يلقي على الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم، ويرمي كل من خالف عليا وحزبه بالكفر. ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلى درجة الكفر.

وثانيهما: الاختلاف في تعيين الأئمة، وذلك أنهم اتفقوا جميعاً على إمامة علي رضي الله عنه، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده. ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه. ولما قتل الحسين على عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضي الله عنه: ففريق يرى أن الخلافة بعد قتل الحسين انتقلت إلى أخيه من أبيه، محمد بن علي، المعروف بابن الحنفية، فبايعوه بها.

وفريق ثان، يرى حصر الإمامة في ولد علي من فاطمة، وقد أصبحت بعد قتل الحسين حقا لأولاد الحسن؛ لأنه أكبر أخوته فلا يؤثر بها غير أولاده، وهم ينتظرون كبرهم ليبايعوا أرشدهم.

وفريق ثالث، يرى ما يراه الفريق الثاني من حصرها في ولد علي من فاطمة، غاية الأمر أنه يقول: إن الحسن قد تنازل عنها فسقط حق أولاده فيها، وبقيت الإمامة لأولاد الحسين الذي قتل من أجلها فهم أولى بالانتظار.

بلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حداً كبيراً من الكثرة، منها من تغالى في تشيعه وتجاوز بمعتقداته حد العقل، والإيمان، ومنها من اعتدل في تشيعه فلم تبالغ كما بالغ غيرها.

الإمامية الإثنا عشرية (ص7/2):

أما الإمامية الإثنا عشرية، فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه علي الرضا، ثم إلى ابنه محمد الجواد، ثم إلى ابنه علي الهادي، ثم إلى ابنه الحسن العسكري، ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بـ "سر من رأى" ولم يعد بعد، وأنه سيخرج في آخر الزمان، ليملأ الدنيا عدلا وأمناً، كما ملئت ظلماً وخوفاً.

وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة، فزعموا: أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء. وقالوا: إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر، وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة.

أشهر تعاليم الإمامية الإثنى عشرية:

وأشهر تعاليم الإمامية الإثنى عشرية أمور أربعة: **العصمة، والمهدية، والرجعة، والتقية.**

---

[1] "مقدمة ابن خلدون" (ص218).

أما العصمة: فيقصدون منها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم، ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان.

وأما المهدية: فيقصدون منها الإمام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أمنا وعدلا، بعد أن ملئت خوفاً وجوراً. وأول من قال بهذا هو كيسان مولى علي بن أبي طالب في محمد بن الحنفية. ثم تسربت إلى طوائف الإمامية، فكان لكل منها مهدي منتظر[1].

وأما الرجعة: فهي عقيدة لازمة لفكرة المهدية، ومعناها: أنه بعد ظهور المهدي المنتظر، يرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا، ويرجع علي، والحسن، والحسين، بل وكل الأئمة، كما يرجع خصومهم، كأبي بكر وعمر، فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم، ثم يموتون جميعاً، ثم يحيون يوم القيامة.

وأما التقية: فمعناها المداراة والمصانعة، وهي مبدأ أساسي عندهم، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس، فهي نظام سري يسيرون على تعاليمه، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة.

هذه هي أهم تعاليم الإمامية الاثنى عشرية، وهم يستدلون على كل ما يقولون ويعتقدون بأدلة كثيرة، غير أنها لا تسلم لهم، ولا تثبت مدعاهم. ونحن نمسك عنها وعن ردها خوف الإطالة، وسيمر بك ـ إن شاء الله تعالى ـ شيء من ذلك.

موقف الإمامية الإثنى عشرية من تفسير القرآن الكريم (ص23/2):

للإمامية الإثنى عشرية معتقدات يدينون بها، وينفردون بها عمن عداهم من طوائف الشيعة. وهم حين يعتقدون هذه المعتقدات لا بد لهم ـ ما داموا يقرون بالإسلام ويعترفون بالقرآن ولو بوجه ما ـ أن يقيموا هذه العقائد على دعائم من نصوص القرآن الكريم، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل وقوة الدليل.

موقفهم من الأئمة وأثر ذلك في تفسيرهم:

وإذا نحن استعرضنا هذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أئمتهم، فهم يلقون على الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم، ويرون أن الأئمة (أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجة الله البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى)[2]. ويرون أن الإمامة (زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين)[3].

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يحكم عليه، وفوق الناس في طينته وتصرفاته، فإنا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التي للأنبياء والرسول، وأنه مشرع ومنفذ، وأن الله قد فوض النبي والإمام في الدين، ويروون عن الصادق أنه

---

[1] وردت بعض الأحاديث في شأن المهدي، رواها الترمذي وأبو داود وابن ماجة وغيرهم، كقوله عليه السلام "**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطول الله ذلك حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي؛ يواطئ اسمه اسمي؛ واسم أبيه اسم أبي**" ومثل قوله "**لو لم يبق إلا يوم؛ لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا**".

وقد وقع بين المسلمين خلاف في شأن المهدي هذا؛ فمنهم من يقول به؛ ومنهم من ينكره؛ ولكن لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية في تعيين المهدي ودعواهم أنه الإمام الثاني عشر الذي اختفى حيا وسيعود في آخر الزمان.

[2] "ضحى الإسلام" (ج3 ص215) نقلاً عن "أصول الكافي" (ص93).

[3] المرجع السابق.

قال: (إن الله خلق نبيه على أحسن أدب وأرشد عقل، ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين[1]".

ثم أثنى عليه فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم[2]) ثم بعد ذلك فوض إليه دينه، وفوض إليه التشريع فقال: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[3]" و "من يطع الرسول فقد أطاع الله[4]".

الله فوض دينه إلى نبيه. ثم أن نبي الله فوض كل ذلك إلى علي وأولاده، سلمتم وجحده الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، وما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا[5]).

وحيث إن الله تعالى خلق النبي وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد عقل، فلا يختار النبي ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب، ولا يخطر بقلب النبي ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يناقض مصلحة الأمة. فيفوض الله تعيين بعض الأمور إلى رأي النبي ورأي الإمام مثل الزيادة في عدد ركعات الفرض ومثل تعيين النوافل من الصلاة والصيام، وذلك إظهار لكرامة النبي والإمام، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام، وله في الشرع شواهد: حرم الله الخمر، وحرم النبي كل مسكر فأجازه الله، وفرض الله الفرائض ولم يذكر الجد، فجعل النبي للجد السدس، وكان النبي يبشر ويعطي الجنة على الله ويجيزه الله.

وأيضا فوض الله للنبي والأئمة من بعده أمور الخلق، وأمور الإدارة والسياسة من التأديب والتكميل والتعليم, وواجب على الناس طاعتهم في كل ذلك. قالوا: وهذا حق ثابت دلت الأخبار عليه.

وأيضا فوضهم الله تعالى في البيان، بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات القرآن وتأويلها، ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا، ولهم فوق ذلك البيان كيفما أرادوا وعلى أي وجه شاءوا تَقيّة منهم وعلى حسب الأحوال والمصلحة.

والتفويض بهذا المعنى يدعون أنه حق ثابت لهم، والأخبار ناطقة به وشاهدة عليه. يقول صاحب الكافي (سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة في كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب، أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة، واختلاف الأجوبة في مسألة واحدة كان يقع إما على سبيل التقية وإما على سبيل التفويض[6]).

---

1 في الآية (199) من سورة الأعراف.

2 الآية (4) من سورة نون.

3 في الآية (64) من سورة النساء.

4 في الآية (80) من سورة النساء.

5 "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة" (ص87).

6 "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة" (ص89).

وهناك نوع آخر من التفويض يثبتونه للنبي والأئمة، ذلك هو أن النبي أو الإمام له أن يحكم بظاهر الشريعة، وله أن يترك الظاهر ويحكم بما يراه وما يلهمه الله من الواقع وخالص الحق في كل واقعة، كما كان لصاحب موسى في قصة الكهف، وكما وقع لذي القرنين[1].

ثم كان من توابع هذه العقيدة التي يعتقدونها في أئمتهم أن قالوا بعصمة الأئمة، وقالوا بالمهدي المنتظر، وقالوا بالرجعة، وقالوا بالتقية، وهذه كلها عقائد رسخت في أذهانهم وتمكنت من عقولهم، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم العقيدة ويزينه لهم الهوى، وهذا تفسير بالرأي المذموم، تفسير من اعتقد أولا، ثم فسر ثانياً بعد أن اعتقد.

تأثر الإمامية الإثنى عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك في تفسيرهم:

وهذا وإن الإمامية الإثنى عشرية لهم في نصوص القرآن التي تتصل بمسائل علم الكلام نظرة تتفق إلى حد كبير مع نظرة المعتزلة إلى هذه النصوص نفسها ولم يكن بينهم وبين المعتزلة خلاف إلا في مسائل قليلة، ويظهر أن هذا الارتباط الوثيق الذي كان بين الفريقين راجع إلى تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلمائهم لبعض شيوخ المعتزلة، كما يظهر لنا جليا أن هذا الارتباط في التفكير شيء قديم غير جديد، فالحسن العسكري، والشريف المرتضى، وأبو علي الطبرسي، وغيرهم من قدماء الشيعة، ينظرون هذه النظرة الاعتزالية في تفاسيرهم التي بأيدينا، والتي تعرضنا لبعضها وسنعرض لبعضها الآخر قريبا.

بل إننا نجد الشريف المرتضى في "أماليه" يحاول محاولة جدية أنه يجعل عليا رضي الله عنه معتزليا أو رأس المعتزلة على الأصح[2]. وليس من شك في أن هذه النظرات الاعتزالية كان لها أثر كبير في تفسيرهم، وستقف على شيء من ذلك إن شاء الله تعالى.

تأثرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية في تفاسيرهم:

ثم إن الشيعة لهم في الفقه وأصوله آراء خالفوا بها من سواهم. فمثلا نجدهم يذكرون أن أدلة الفقه أربعة وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع؛ ودليل العقل. أما الكتاب فلهم رأي فيه سنعرض له فيما بعد.

وأما السنة فهم غير أمناء ولا ملتزمين بما صح منها، وسنعرض لها فيما بعد أيضاً.

وأما الإجماع فليس حجة بنفسه، وإنما يكون حجة إذا دخل الإمام المعصوم في المجمعين، أو كان الإجماع كاشفاً عن رأيه في المسألة، أو كان الإجماع عن دليل

---

1 "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة" (ص89).

2 يرى بعض العلماء أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله، والحسن، ابنا محمد بن الحنفية، وعن أبي هاشم أخذ واصل بن عطاء (مقدمة تبيين كذب المفترى ص 10، 11). ويقول أبو الحسن الطرائفي الشافعي المتوفى سنة 377 هـ في كتابه "رد أهل الأهواء والبدع": "عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم له الأمر، اعتزل جماعة من أصحاب علي، الحسن معاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة". أهـ من هامش "تبيين كذب المفتري" (ص10).

معتبر؛ فهو في الحقيقة داخل في الكتاب أو السنة. وأما دليل العقل عندهم فلا يدخل فيه القياس، ولا الاستحسان، ولا المصالح المرسلة، لأن ذلك كله ليس حجة عندهم[1].

وفي الفقه لهم مخالفات يشذون بها. فمثلا تراهم يقولون: إن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح دون الغسل، ولا يجوزون المسح على الخفين، وجوزوا نكاح المتعة، وجوزا أن تورث الأنبياء، ولهم مخالفات في نظام الإرث، كإنكارهم للعول مثلا، ولهم مخالفات كثيرة غير ذلك في مسائل الاجتهاد.

لهذا كان طبيعياً أن يقف الإمامية الإثنا عشرية من الآيات التي تتعلق بالفقه وأصوله موقفاً فيه تعصب وتعسف، حتى يستطيعوا أن يخضعوا هذه النصوص ويجعلوها أدلة لآرائهم ومذاهبهم، كما كان طبيعياً، أن يتأولوا ما يعارضهم من الآيات والأحاديث، بل ووجدناهم أحياناً يزيدون في القرآن ما ليس منه ويدعون أنه قراءة أهل البيت، وهذا إمعان منهم في اللجاج، وإغراق في المخالفة والشذوذ.

احتيالهم على تركيز عقائدهم وترويجها:

ويظهر لنا أن الإمامية الاثنى عشرية لم يجدوا في القرآن كل ما يساعدهم على أغراضهم وميولهم، فراحوا:

أولا- يدعون أن القرآن له ظاهر وباطن بل وبواطن كثيرة، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة، سواء في ذلك ما يتعلق بالظواهر وما يتعلق بالبواطن، وحجروا على العقول فمنعوا الناس من القول في القرآن بغير سماع من أئمتهم.

وراحوا - ثانياً - يدعون أن القرآن وارد كله أو جله في أئمتهم ومواليهم، وفي أعدائهم ومخالفيهم كذلك.

وراحوا - ثالثاً - يدعون أن القرآن حرّف وبدل عما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكل هذا لا أعتقد إلا أنه من قبيل الاحتيال على تركيز عقائدهم وإيهام الناس أنها مستقاة من القرآن الذي هو المنبع الأساسي والأول للدين.

وأعجب من هذا، أنهم أخذوا يموهون على الناس، ويغرون العامة بما وضعوه من أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته، وطعنوا على الصحابة إلا نفراً قليلا منهم، ورموهم بكل نقيصة في الدين؛ ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بخناقهم الأحاديث الصحيحة التي يرويها هؤلاء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويحسن بنا ألا نمر سراعا على هذه النقط الأربعة بالذات، بل علينا أن نقف أمامها وقفة طويلة ودقيقة حتى نستطيع أن نقف على مدى هذه الأوهام والدعاوى التي كان لها أكبر الأثر في اتجاه التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية، فنقول وبالله التوفيق:

1ـ ظاهر القرآن وباطنه:

---

[1] انظر: "أعيان الشيعة" (ج1ص 477). وقد مثل لدليل العقل بالبراءة من التكاليف بواجب لم يرد فيه نص. أنظر: (ص236) من كتاب "أصول الاستنباط" للسيد علي تقي الحيدري، طبع شركة النشر والطباعة العراقية سنة 1950.

يقول الإمامية الاثنا عشرية: إن القرآن له ظاهر وباطن. وهذه حقيقة نقرهم عليها ولا نعارضهم فيها بعدما صح لدينا من الأحاديث التي تقرر هذا المبدأ في التفسير[2].

غاية الأمر أن هؤلاء الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوا إلى القول بأن للقرآن سبعة وسبعين باطناً، ولم يقتصروا على ذلك بل تمادوا وادعوا أن الله تعالى جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما.

حرصهم على التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه:

ولقد كان من أثر هذا الرأي في القرآن، أن اشتد حرص هؤلاء القائلين به على أن يعقدوا صلة بين المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة للقرآن، ويعملوا بكل ما في وسعهم وطاقتهم على إيجاد مناسبة بينهما حتى يقرّبوا هذا المبدأ من عقول الناس ويجعلوه أمراً سائغاً مقبولا.

من أمثلة هذا التوفيق والربط بين ظاهر القرآن وباطنه، قوله تعالى في الآية (15) من سورة محمد عليه السلام "مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات." فهم يقرون أن هذا الظاهر مراد الله تعالى، ومراد له مع هذا الظاهر معنى آخر باطني هو علوم الأئمة عليهم السلام، ويقولون: إن الجامع بين المعنيين هو الانتفاع بكل منهما وبمثل هذا يوفقون بين المعاني الظاهرة والباطنة، حتى لا يكون مستبعدا إرادة الله لمعنى خاص بحسب ما يدل عليه ظاهر اللفظ، وإرادته لمعنى آخر بحسب ما يدل عليه باطن الأمر.

حملهم الناس على التسليم بما يدعون من المعاني الباطنة للقرآن:

وكأني بالإمامية الاثنى عشرية بعد أن ربطوا بين ظاهر القرآن وباطنه، وجمعوا بينهما بجامع التناسب والتشابه... كأني بهم يعتقدون أن مثل هذا الربط لا يكفي في حمل الناس على أن يذهبوا مذهبهم هذا، فحاولوا أن يحملوهم عليه من ناحية العقيدة والإرهاب الديني، الذي يشبه الإرهاب الكنسي للعامة في العصور المظلمة، من حمل الناس على ما يوحون به إليهم بعد أن حظروا عليهم إعمال العقل، وحالوا بينهم وبين حريتهم الفكرية، فقالوا: إن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ولا بد أن يكون ذلك على سبيل التفصيل إن وصل إليه علم ذلك مفصلا عن آل البيت، ويكفي فيه للإجمال إن لم يصل إليه التفصيل.

قالوا: ولا يجوز له أن ينكر الباطن بحال، وعليه أن يسلم بكل ما وصل إليه من ذلك عن طريق آل البيت وإن لم يفهم معناه، ولو أن إنساناً آمن بالظاهر وأنكر الباطن لكفر بذلك، كما لو أنكر الظاهر وآمن بالباطن أو الظاهر والباطن جميعاً.

وحرصا منهم على تعطيل عقول الناس ومنعهم من النظر الحر في نصوص القرآن الكريم، قالوا: إن جميع معاني القرآن، سواء منها ما يتعلق بالظاهر وما يتعلق

---

2 سيأتي بيان المراد بالباطن قريبا، وسترى أنه بمعزل عما ذهب إليه الإمامية.

بالباطن، اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده، فهم الذين عندهم علم الكتاب كله؛ لأن القرآن نزل في بيتهم (وأهل البيت أدرى بما في البيت).

أما من عداهم من الناس فلا يرون أدنى شبهة في قصور علمهم، وعدم إدراكه لكثير من معاني القرآن الظاهرة، فضلا عن معانيه الباطنة، قالوا: ولهذا لا يجوز لإنسان أن يقول في القرآن إلا بما وصل إليه من طريقهم غاية الأمر أنهم جوزوا لمن أخلص حبه وانقياده لله ولرسوله ولأهل البيت واستمد علومه من أهل البيت حتى أنس من نفسه العلم والمعرفة.. جوزوا لمثل هذا أن يستنبط من القرآن ما يتيسر له؛ لأنه بحبه لآل البيت وأخذه عنهم صار كأنه منهم وقد قيل (سلمان منا آل البيت).

أثر التفسير الباطني في تلاعبهم بنصوص القرآن:

ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطني للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطربا بالغا ومجالا رحبا، يتسع لكل ما يشاؤه الهوى وتزينه لهم العقيدة، فأخذوا يتصرفون في القرآن كما يحبون، وعلى أي وجه يشتهون، بعد ما ظنوا أن العامة قد انخدعت بأوهامهم وسلموا بأفكارهم ومبادئهم.

فقالوا - مثلا -: إن من لطف الله تعالى أن يشير بواسطة المعاني الباطنة لبعض الآيات إلى ما سيحدث في المستقبل من حوادث، ويعدون هذا من وجوه إعجازه، ثم يفرغون على هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوى، وما يزينه في أعينهم داعي العقيدة وسلطانها، فيقولون مثلا في قوله تعالى في الآية (19) من سورة الانشقاق "لتركبن طبقا عن طبق" إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

كذلك مكن لهم القول بباطن القرآن من أن يقولوا: إن اللفظ الذي يراد به العموم ظاهراً كثيراً ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن، فمثلا لفظ الكافرين الذي يراد به العموم، يقولون: هو في الباطن مخصوص بمن كفر بولاية علي. كما مكنهم أيضا من أن يصرفوا الخطاب الذي هو موجه في الظاهر إلى الأمم السابقة أو إلى أفراد منها، إلى من يصدق عليه الخطاب في نظرهم من هذه الأمة بحسب الباطن، فمثلا قوله تعالى في الآية (159) من سورة الأعراف (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يقولون فيه: قوم موسى في الباطن هم أهل الإسلام.

ولقد مكنهم أيضا من أن يتركوا أحياناً المعنى الظاهر ويقولوا بالباطن وحده، كما في قوله تعالى في الآيتين (74، 75) من سورة الإسراء "ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً" فالظاهر غير مراد عندهم، ويقولون عني بذلك غير النبي؛ لأن مثل هذا لا يليق أن يكون موجها للنبي عليه الصلاة والسلام، وإنما هو معنى به من قد مضى، أو هو من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة).

كذلك مكنهم هذا المبدأ من إرجاع الضمير إلى ما لم يسبق له ذكر، كما في قوله تعالى في الآية (15) من سورة يونس "قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله..." حيث يفسرون (أو بدله) بمعنى أو بدل علياً. ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر، ولم يكن الكلام مسوقا في شأن خلافته وولايته.

ومما ساغ لهم أن يقولوه بعد تقريرهم لمبدأ القول بالباطن: إن تأويل الآيات القرآنية لا يجري على أهل زمان واحد، بل عندهم أن كل فقرة من فقرات القرآن لها



تأويل يجري في كل آن، وعلى أهل كل زمان، فمعاني القرآن على هذا متجددة حسب تجدد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث.

بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك فقالوا: إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة، وقالوا: إن الآية الواحدة يجوز أن يكون أولها في شيء وآخرها في شيء آخر.. ولا شك أن باب التأويل الباطني باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل منه إلى كل ما يدور بخلده ويجيش بخاطره.

وليس لقائل أن يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح بأن للقرآن باطنا، وإن المفسرين جميعا يعترفون بذلك ويقولون به، فكيف توجه اللوم إلى الإمامية وحدهم؟ ليس لقائل أن يقول ذلك؛ لأن الباطن الذي أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين، هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني، ويمكن أن يكون من مدلولاته. أما الباطن الذي يقول به الشيعة فشيء يتفق مع أذواقهم ومشاربهم، وليس في اللفظ القرآني الكريم ما يدل عليه ولو بالإشارة.

مخلصهم من تناقض أقوالهم في التفسير:

ثم إن الإمامية الإثنى عشرية، أحسوا بخطر موقفهم وتحرجه عندما جوزوا أن يكون للآية الواحدة أكثر من تفسير واحد مع التناقض والاختلاف بين هذه التفاسير. فأخذوا يموّهون على العامة ويضللونهم، فقرروا من المبادئ ما أوجبوا الاعتقاد به أولا على الناس ليصلوا بعد ذلك إلى مخلص يتخلصون به من هذا المأزق الحرج، فكان من هذه المبادئ التي قرروها وأوجبوا الاعتقاد بها ما يأتي:

أولا: أن الإمام مفوض من قبل الله في تفسير القرآن.

ثانيا: أنه مفوض في سياسة الأمة.

ثالثا: التقية.

وكل واحد من هذه الثلاثة يمكن أن يكون مخلصاً للخروج من هذا التناقض الذي وقع في تفاسيرهم التي يروونها على أئمتهم، فيكون الإمام مفوضاً من قبل الله في تفسير القرآن مخلص لهم؛ لأن باب التفويض واسع. وكونه مفوضاً في سياسة الأمة مخلص أيضاً؛ لأن الإمام أعلم بالتنزيل والتأويل، وأعلم بما فيه صلاح السائل والسامع، فهو يجيب كل إنسان على حسب ما يرى فيه صلاح حاله.

والقول بالتقية مخلص أوسع من سابقيه، لأن الإمام له أن يسكت ولا يجيب، تقية منه (قيل عند الباقر: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار، فقال الباقر: فهلك إذا مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالا، لا يوجد العلم إلا هاهنا.. وأشار إلى صدره[1]).

---

[1] "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة" (ص80).



وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال وما يرى فيه المصلحة.. تقية منه أيضاً وبنوا على هذا (أن الإمام إن قال قولا على سبيل التقية، فللشيعي أن يأخذ به ويعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعي إلى أن قول الإمام كان على سبيل التقية)[1].

ونحن لا نظن أن الأئمة كانوا يلجئون إلى هذه التقية.. تقية الخداع في الأخبار، والنفاق في الأحكام، وإنما هي تمحلات يتمحلونها، ليخلصوا بها أنفسهم من هذا الارتباك الذي وقعوا فيه.

2ـ موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم:

ثم إن الإمامية الإثنى عشرية، قرروا أن الإقرار بإمامة علي ومن بعده من الأئمة والتزام حبهم وموالاتهم، وبغض مخالفيهم وأعدائهم، أصل من أصول الإيمان، بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك، مع الإقرار بباقي الأصول، كما قرروا وجوب طاعة الأئمة، واعتقاد أفضليتهم على الخلائق أجمعين.

قرر الإمامية هذا كله، ثم أخذوا ينزلون نصوص القرآن على ما قرروه، بل وزادوا على ذلك فقالوا: إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومن والاهم، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم، بل ويدعون ما هو أكثر من ذلك فيقولون: إن جلّ القرآن بل كله، أنزل في الإرشاد إليهم، والإعلان بهم، والأمر بموافقتهم، والنهي عن مخالفتهم.

ولقد كان من أثر زعمهم أن القرآن جله أوكله وارد في أئمتهم ومن والاهم، وفي أعدائهم ومن وافقهم، أن قالوا: إن ما نسبه الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو ضميره سِرّه أن أراد إدخال النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة معه. قالوا: وهو مجاز شائع معروف، بل وبالغوا فقالوا: إن الأئمة هم المقصودون بالذات أحياناً كما في قوله تعالى: "وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" حيث رووا عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال فيها: إن الله أعظم وأعز وأجل من أي يظلم، ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا" بمعنى الأئمة منا[2] أهـ.

وأعجب من هذا، أنهم جعلوا لفظ الجلالة، والإله والرب، مراداً به الإمام وكذا الضمائر الراجعة إليه سبحانه، وتأولوا ما أضافه الله إلى نفسه من الإطاعة والرضى والغنى والفقر مثلا، بما يتعلق بالإمام كإطاعته، ورضاه وغناه، وفقره... الخ، ويعدون ذلك من قبيل المجاز الشائع المعروف...

ولكن لا شيوع لمثل هذا المجاز ولا معرفة لنا به، إذ المجاز المتعارف عليه بين العلماء هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وأين العلاقة هنا؟ وإذا تكلفوا العلاقة فأين القرينة الصارفة للفظ عن حقيقته؟ ثم... لم هذا التكلف والعدول إلى المجاز، وقد تقرر أنه لا يعدل إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة؟

3- تحريف القرآن وتبديله:

---

[1] "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة" (ص82).

[2] مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص 39. والآية رقم (55) من سورة المائدة.



وأحسب أن الإمامية الإثنى عشرية، عز عليهم أن يكون القرآن غير صحيح في عقيدتهم بالنسبة للائمة وموافقيهم، وبالنسبة لأعدائهم ومخالفيهم، وكأني بهم وقد تساءلوا فيما بينهم فقالوا: إذا كان القرآن جله وارداً في شأن الأئمة وشيعتهم، وفي شأن أعدائهم ومخالفيهم، فلم لم يأت القرآن بذلك صريحاً مع أنه المقصود أولا وبالذات؟ ولم اكتفى بالإشارة الباطنة فقط؟... كأني بهم بعد هذا التساؤل، وبعد هذا الاعتراض الذي أخذ بخناقهم، راحوا يتلمسون للتخلص منه كل سبيل، فلم يجدوا أسهل من القول بتحريف القرآن وتبديله، فقالوا: إن القرآن الذي جمعه علي عليه السلام، وتوارثه الأئمة من بعده، هو القرآن الصحيح الذي لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرف ومبدل، حذف منه كل ما ورد صريحاً في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً في مثالب أعدائهم ومخالفيهم.

وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة، ولهم في ذلك روايات كثيرة ويروونها عن آل البيت، وهم منها براء. يروي الكافي عن الصادق: أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة عشرة ألف آية، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية، والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه علي[1].

ويقولون: إن سورة (لم يكن) كانت مشتملة على اسم سبعين رجلا من قريش بأنسابهم وآبائهم. وإن سورة (الأحزاب) كانت مثل سورة (الأنعام) أسقطوا منها فضائل أهل البيت. وإن سورة (الولاية) أسقطت بتمامها... وغير ذلك من خرافاتهم.

وأسخف مالهم في هذا الموضوع هو (أن جميع ما في المصحف كلام الله، إلا أنه بعض ما نزل. والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شيء وإذا قام القائم يقرؤه الناس كما أنزله الله على ما جمعه أمير المؤمنين علي)[2].

ولقد اصطدم مدعو التحريف والتبديل، بنصوص من القرآن صريحة في هدم مدعاهم هذا، فمن تلك النصوص: قوله تعالى في الآية (9) من سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ولكن سرعان ما تخلصوا منها بالتأويل فقالوا: (وإنا لحافظون.ـ أي عند الأئمة) وبمثل هذا التأويل يتخلصون من باقي النصوص المعارضة لهم. واصطدموا أيضاً بأمرين آخرين لهما عظيم الخطر على عقائدهم ومبادئهم:

أولهما: كيف تعتمدون في تعاليمكم ومعتقداتكم على هذا القرآن الذي بأيدينا وقد جزمتم بوقوع التحريف والتبديل فيه؟

ثانيهما: كيف توجبون على الناس أن يعترفوا بفضائل آل البيت، ويتبرءوا من أعدائهم ومخالفيهم، والحجة غير قائمة عليهم بعد أن حذف كل ذلك من القرآن؟

وقد أجابوا عن الأول: بأن التحريف إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال، كحذف اسم علي، وآل محمد، وأسماء المنافقين.

وأجابوا عن الثاني: بأن الله تعالى علم ما سيكون من وقوع التحريف والتبديلـ في القرآن، فلم يكتف بما جاء صريحاً في فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم، بل أشار إلى ذلك ودل عليه بحسب باطن القرآن وتأويله، وهذا قد سلم من التحريف والتبديل قطعا، فبقيت الحجة، قائمة على الناس وإن بدلوا الظاهر وحرفوه.

---

1 "الوشيعة" (ص23).

2 المرجع السابق (ص27).



والحق أن الشيعية هم الذين حرفوا وبدلوا، فكثيراً ما يزيدون في القرآن ما ليس منه، ويدعون أنه قراءة أهل البيت، فمثلا نراهم عند قوله تعالى في الآية (67) من سورة المائدة: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" يزيدون (في شأن علي) وهي زيادة لم ترد إلا من طريقهم، وهي طريقة مطعون فيها.

وهم الذين حرفوا القرآن أيضاً حيث تأولوه على غير ما أنزل الله (قيل للصادق: ألم يكن علي قوياً في دين الله؟ قال: بلى. قيل: فكيف ظهر عليه القوم ولم يدفعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال الصادق: آية في كتاب الله منعته. قيل: أي آية؟ قال: "لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما" **كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، ولم يكن علي يقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت ظهر عليٌّ على من ظهر فقتلهم**[1].

وروى العياشي عن الباقر أنه قال: لما قال النبي "اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام" أنزل الله: "وما كنت متخذ المضلين عضدا[2]".

وتقول أصول الكافي في قوله تعالى في الآية (127) من سورة النساء: "إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا" إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا بالنبي أولا، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي ـ ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة[3].

هذه أمثلة نذكرها ونضعها بين يدي القارئ الكريم ليحكم بنفسه حكما صادقاً: أن هؤلاء الشيعة، الذين يدعون التحريف والتبديل للقرآن، هم أنفسهم المحرفون لكتاب الله، المبدلون فيه، بصرفهم ألفاظ القرآن إلى غير مدلولاتها وتقولهم على الله بالهوى والتشهي.

4- موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة:

ولقد رأى الإمامية الإثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وفي تلك الأحاديث وهذه الآثار ما يخالف تعاليمهم مخالفة صريحة؛ لذا كان بدهيا أن يتخلص القوم من كل هذه الروايات، إما بطريق ردها، وإما بطريق تأويلها. والرد عندهم سهل ميسور؛ ذلك لأن الرواية إما أن تكون قولا لصحابي، وإما أن تكون قولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق صحابي، وهم يجرحون معظم الصحابة، بل يكفرونهم لمبايعتهم أبا بكر أولا، ثم عمر من بعده ثم عثمان من بعدهما... وأما التأويل فباب واسع.. وهم أهله وأربابه.

---

1 "الوشيعة" (ص64) نقلا عن "الوافي" (ج2 ص152).

2 "الوشيعة" (ص64).

3 "الوشيعة" (ص65) نقلا عن "أصول الكافي" (ج3 ص325).



فمثلا نجدهم يردون الأحاديث والآثار التي ثبتت في تحريم نكاح المتعة ونسخ حله، كما نجدهم، يردون أحاديث المسح على الخفين ويقولون: إنها من رواية المغيرة بن شعبة رأس المنافقين. ثم نجدهم يسلمون بصحة الرواية جدلا ولكنهم يتأولونها فيقولون: إن الخف الذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم كان مشقوقاً من أعلى، فكان، يمسح على ظاهر قدمه من هذا الشق... وظاهر أن هذا تأويل بارد متكلف.

فإذا كان هؤلاء لا يقبلون أقوال الصحابة،ولا يثقون بروايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذاً من يقبلون قوله؟ ومن يثقون بروايته؟.

الذي عليه الشيعة إلى اليوم، أنهم لا يأخذون الحديث إلا ممن كان شيعياً، ولا يقبلون تفسيرا إلا ممن كان شيعياً، ولا يثقون بشيء مطلقاً إلا إذا وصل لهم من طريق شيعي!!... وبهذا حصروا أنفسهم في دائرة خاصة، حتى كأنهم هم المسلمون وحدهم فإن عاشوا وسط السنيين فباطنهم لأنفسهم، وظاهرهم للتقية!!..

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد ـ حد الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم ـ بل وجدنا الرؤساء من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره "قد استغلوا أفكار الجمهور الساذجة، وقلوبهم الطيبة الطاهرة، وحبهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فراحوا يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته، ويضمنونها ما يرضي ميولهم المذهبية، وأغراضهم السيئة الدنيئة، ولم يفتهم أن يحكموا أسانيد هذا الشيعة لأنهم وجدوها مؤيدة لدعواهم...

ويعجبني هنا ما ذكره أبو المظفر الإسفرائيني في كتابه "التبصير في الدين"، وهو: أن الروافض (لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف، ويصنف لكل فريق، قالت له الروافض: صنف لنا كتاباً، فقال لهم: لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها، فقالوا له: إذاً على شيء نتمسك به "قال: لا أرى لكم وجها إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئا تزعمونه، تقولون: إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سببا تستندون إليه غير هذا الكلام.. فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، فكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة، نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزه ومن مقالتهم في الدارين برئ[1]).

أهم الكتب التي يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار:

هذا.. وللإمامية الاثنى عشرية كتب كثيرة، يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار، وينزلونها من أنفسهم منزلة سامية، ويثقون بها وثوقاً بالغا، فمن أهم هذه الكتب ما يأتي:

أولا: كتاب "الكافي"، وهو أهم الكتب عند الإمامية الإثنى عشرية على الإطلاق، وهو لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة 328هـ أو 329هـ. وهو عندهم كالبخاري عند أهل السنة وهذا الكتاب يحتوي على ستة عشر ألف حديث، قسمها ـ كما فعل أهل السنة ـ إلى صحيح، وحسن، وضعيف. وهو يقع في ثلاث مجلدات: المجلد الأول في الأصول، والثاني والثالث في الفروع.

ثانيا: كتاب "التهذيب" لمحمد بن الحسن الطوسي مجلدان في الفروع.

---

1 "التبصير في الدين" (ص26).



ثالثا: كتاب "من لا يحضره الفقيه"، لمحمد بن علي بن بابويه، وهو في الفروع.
رابعاً: كتاب الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخيار، لمحمد بن الحسن الطوسي، اختصره من كتاب التهذيب.

هذه الكتب الأربعة، هي أمهات كتب الشيعة التي يعتمدون عليها ويثقون بها، وقد جمعها كتاب الوافي في ثلاث مجلدات كبيرة، وهو من مؤلفات محمد بن مرتضى، المعروف بملاّ محسن الكاشي.

وهناك كتب في الحديث ذكرها صاحب أعيان الشيعة غير ما تقدم، منها: "وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة"، للشيخ محمد بن الحسن العاملي، و"بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار"، للشيخ محمد الباقر، وهي لا تقل أهمية عن الكتب المتقدمة[1].

والذي يقرأ في هذه الكتب لا يسعه أمام ما فيها من خرافات وأضاليل إلا أن يحكم بأن متونها موضوعة، وأسانيدها مفتعلة مصنوعة، كما لا يسعه إلا أن يحكم على هؤلاء الإمامية بأنهم قوم لا يحسنون الوضع؛ لأنهم ينقصهم الذوق، وتعوزهم المهارة، وإلا فأي ذوق وأية مهارة في تلك الرواية التي يروونها عن جعفر الصادق رضي الله عنه، وهي: أنه قال: (ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فأعلم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأبونا، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة[2]).

أظن أن القارئ معي في أن الذي وضع هذه الرواية واختلقها على جعفر الصادق، رجل ينقصه الذوق، وتعوزه المهارة، ونحن أمام هذه الأحاديث والروايات، لا يسعنا إلا أن نردها رداً باتاً، وذلك للأسباب الآتية:

أولا: إن غالب هذه الأحاديث يروونها بدون سند، بل يعتمدون على مجرد وجودها في كتبهم. تروي كتب الشيعة أن إماماً من أئمة أهل البيت أولاد علي يقول: (ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله). ولكن بأي سند؟ تجيب كتب الشيعة: (إن شيوخنا رووا عن الباقر وعن الصادق وكانت التقية شديدة، وكانت الشيوخ تكتم الكتب، فلما خلت الشيوخ وماتت وصلت كتب الشيوخ إلينا، فقال إمام من الأئمة حدثوا بها فإنها صادقة[3]).

ثانياً: إن ما روي من هذه الروايات مسنداً لا بد أن يكون في سنده شيعي متعصب لمذهبه، وقد قال رجال الحديث: إنه لا يقبل رواية المبتدع الذي يدعو لمذهبه ويروج له.

ثالثاً: (إن القاعدة المتفق عليها بين المحدثين أن كل متن يناقض المعقول، أو يخالف الأصول، أو يعارض الثابت من المنقول، فهو موضوع على الرسول) وغالب أحاديثهم لا تسلم لهم إذا عرضناها على هذه القاعدة.

---

1 "أعيان الشيعة" (ج1 ص292 ت293).
2 "الوشيعة" (ص40) نقلا عن "الوافي" (ج13 ص 14).
3 "الوشيعة" (ص 46 – 47) نقلا عن "الوافي" (ج1 ص124) وشرح "الكافي" (ج1 ص 28).



وكلمة الحق والإنصاف: أنه لو تصفح إنسان أصول الكافي: وكتاب الوافي وغيرهما من الكتب التي يعتمد عليها الإمامية الإثنا عشرية، لظهر له أن معظم ما فيها من الأخبار موضوع وضع كذب وافتراء، وكثير مما روي في تأويل الآيات وتنزيلها، لا يدل إلا على جهل القائل بها وافترائه على الله، ولو صح ما ترويه هذه الكتب من تأويلات فاسدة للقرآن، لما كان قرآن، ولا إسلام، ولا شرف لأهل البيت، ولا ذكر لهم.

وبعد...ـ فغالب ما في كتب الإمامية الإثنى عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها، وفي ظاهر القرآن وباطنه، استخفاف بالقرآن الكريم، ولعب بآيات الذكر الحكيم... وإذا كان لهم في تأويل الآيات وتنزيلاتها أغلاط كثيرة، فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم؛ بل المعقول أن بعضها قد صدر عن جهل، والكثير منها صدر عمداً عن هوى ملتزم، وللشيعة ـ كما بينا ـ أهواء التزمتها.

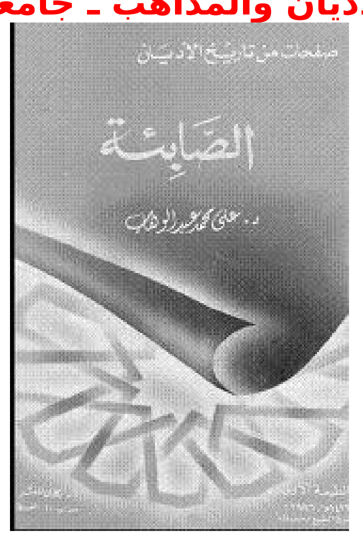




الصابئة

تأليف: د. علي محمد عبدالوهاب

أستاذ الأديان والمذاهب ـ جامعة الأزهر



يتساءل كثير من الناس من هم الصابئة وما هي عقيدتهم ، وما حقيقة دينهم ؟ وذلك بعد تكرر سماع اسم هذه الطائفة في وسائل الإعلام ومن هنا نقدم تعريف بكتاب الصابئة .

تكتنف دراسة "الصابئة" عدة صعوبات أبرزها أن أتباع هذه الديانة يغلب عليهم الكتمان والإنزواء، ولولا ورود ذكرهم في ثلاثة مواضع من كتاب الله، للفّ النسيان هذه الديانة القديمة التي يتركز أتباعها في بلاد الرافدين.

وكتاب "الصابئة" لمؤلفه الدكتور علي محمد عبد الوهاب، إذ يقرر الحقيقة السابقة، فإنه يعتبر أن دراسة عقائدهم وطقوسهم على ما هي عليه من التقطيع والخبط والخلط فيها الكثير من الفوائد التاريخية.

ويؤكد الكتاب الصادر عن دار ركابي سنة 1996م في مقدمته، أن الصابئة وإن كانت تستقل بلغة مقدسة خاصة بها، وكتب وأحكام وتشريعات، إلاّ أنها تشترك مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة "فهم يشبهون البراهمة والمجوس والأورفيين وأصحاب النحل السرية، كما يشبهون النصارى واليهود والمسلمين، كما يشبهون الفلاسفة وأصحاب المذاهب العقلية في تفسير الوجود والموجودات" ص15.

أما اختلاف الصابئة مع هذه الأديان، فلأنهم ـ بحسب المؤلف ـ "تشبثوا بأصل قديم لا يفارقونه"، وأما أوجه الشبه والاقتراب، فيعزوها المؤلف إلى إقامة الصابئة عند فم الخليج، الأمر الذي يجعلهم في طريق كل قوم يتردد أبناؤها على هذا الإقليم أو يقيمون فيه. ويقسم المؤلف الكتاب الذي يقع في 180 صفحة إلى ستة فصول تحدث فيها عن موطن الصابئة وقوميتهم ولغتهم وفرقهم، وعن عقائدهم وعباداتهم وكتبهم وعلمائهم، وأحوالهم الشخصية وطقوسهم الجنائزية، وغير ذلك من المواضيع.

الفصل الأول: من هم الصابئة؟

في أول فصول الكتاب يتحدث المؤلف عن الاختلاف في تحديد معنى كلمة "صابئة" وبعد استعراض مجموعة من الأقوال والآراء المختلفة، يرجح المؤلف أن الكلمة اشتقت من (صبَا) الآرامية، التي تعني التعميد أو الصباغة، حيث يشكل التعميد أحد أهم شعائر وطقوس الصابئة المعروفين أيضا باسم المندائيين.

وفي هذا الفصل، يستعرض المؤلف آراء العلماء المسلمين وعلماء الملل والنحل في الصابئة، وقد تباينت آراء العلماء تبايناً كبيراً، فمنهم من قال بأن الصابئة "قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين" وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير. في حين ذهب الربيع بن أنس وجابر بن زيد والضحاك وإسحاق بن راهويه إلى أن "الصابئة فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور". وروي عن الحسن البصري أنه قال "إنهم كالمجوس"، وفي رواية أخرى عنه أنه قال "هم قوم يعبدون الملائكة" ص25، إلى غير ذلك من الأقوال.

الصابئة: أدوار وأطوار:

والاختلاف الواضح تجاه تحديد حقيقة دين الصابئة، يفسره المؤلف بأن "الديانات السابقة تفرعت منها فروع وشيع منوعة، كانت تنتقل من دور إلى دور، والصابئة قد مرت بأدوار وأطوار، ومن خلال هذه الأدوار يتضح لنا أصول ديانة الصابئة في كل دور وما طرأ عليه من تغيير" ص29.

وفيما يلي بيان لأهم الأطوار التي مرت بها الصابئة":

الدور الأول: عبادة النجوم والكواكب، التي كانت مشتهرة أيضا عند الأمم السابقة أمثال البابليين والمصريين القدماء والفرس واليونان.

وكانت ديانة الصابئة خلال هذا الطور تعتقد بتعدد القوى المدبرة لهذا الكون، وبوجود قوة أعلى تهمين على هذه القوى وتدبرها، كما زعموا أن ما يقيمونه من عبادات وطقوس عبارة عن وسائط تقربهم من تلك الأجرام والكواكب التي حلت فيها القوة.

وما زال في عقائد الصابئة شيء من تعظيم الكواكب والنجوم، لاسيما الكواكب السيارة السبع، وكذلك النجم القطبي الذي هو عبارة عن القبلة التي يتوجه إليها الصابئة في فروضهم.

الدور الثاني: ويتمثل في الانتقال من عبادة الأجرام إلى عبادتها على هيئة الأصنام والرموز... ولايزال الصابئون الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة، ويرون في النار والشهب والرعد والبرق وسائر الظواهر الجوية رمزاً يعبر عن إحدى تلك الكواكب. وقد تخيلوا لتلك الأجرام العلوية أشكالاً خاصة نحتوا على صورها التماثيل المقامة في الأماكن المرتفعة.

الدور الثالث: وشهد تأثر تعاليم دينهم بالفلسفة نتيجة لانقطاع رهبانهم وكهنتهم إلى الدراسة والعبادة..

وكانت الأبحاث تدور عن حقيقة التمثيل والقوة، وعن قابلية الكواكب واستعدادها، وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب، وعن خواص الأسماء والحروف.

الدور الرابع: تأثرهم بالفترة التي سبقت ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والفترة التي تلته "فقد مال الصابئة إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به، وعظموه، ومازال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم، ويعتقدون به كنبي مجدد، أرسل إليهم دون غيرهم من البشر" ص34. وينبه المؤلف هنا إلى خطأ مفاده أن الصابئة انقرضت منذ ظهور المسيح، واندمجت في النصرانية، لأن الصابئة أو معظمهم مازالوا يقدسون ويعظمون الكواكب والنجوم.

مواطن الصابئة وقوميتهم ولغتهم:

يبين المؤلف في هذه المباحث أن موطن الصابئة هو حول ضفاف الرافدين، وبخاصة في المناطق السفلى من العراق فيما يطلق عليه اسم البطائح أو السواد، وكذلك في إقليم عربستان أو خوزستان الذي يتبع إيران حالياً. والصابئة أو المندائيون كما يطلقون على أنفسهم هم طائفة من القبائل الآرامية، ويتحدثون اللهجة المندائية الآرامية، وهي من اللغات السامية (ص50).

فرق الصابئة:

يؤكد المؤلف هنا أن فرقاً متعددة ومذاهب متشعبة تندمج كلها تحت اسم الصابئة على ما بينها من اختلاف في الأصول والفروع، وعلى ما أصابها من تطور في الزمان والمكان (ص52).

ويعدد أربع فرق يعتبرها أشهر فرق هذه النحلة، وهي:

1ـ أصحاب الروحانيات: وهم الصابئة المندائيون.
2ـ أصحاب الهياكل: الصابئة الحرانيون.
3ـ أصحاب الأصنام: الصابئة الهنود.
4ـ صابئة الرومان واليونان وغيرهم.

وبعد بيان الفروقات بين الأقسام السابقة، وحقيقة معتقداتها، يذهب إلى أن الصابئة المندائيين، هم الفرقة الموجودة حالياً في العراق وإيران، والتي أشار إليها القرآن الكريم (سور البقرة والمائدة والحج)، أما الفرق الأخرى، فلم يعد لها وجود، وكانت آخر الفرق المنقرضة، الصابئة الحرانيين.

الفصل الثاني: كتب الصابئة وعلماؤها

أولاً: الكتب

للصابئة عدد كبير من الكتب المقدسة، باللغة المندائية، التي يعتقد الصابئة أن آدم عليه السلام كان يتكلم بها. وهذه الكتب ـ عموماً ـ غير مطبوعة، وقد قام بنسخها رجال الدين طيلة قرون عديدة.

وأعظم كتبهم يسمى "كنزا ربا" أي الكتاب المقدس، ويسمونه أيضاً "صحف آدم" ويتحدث عن التوحيد وصفات الخالق والمباحات والمحرمات وبدء الخليقة وغير ذلك.

ومن الكتب المقدسة عندهم: "سدرا يهيى" أي تعاليم يحيى. ومنها أيضاً: "العلستا، وسدرة اونشماثا، والديوانات، وسفر ملواشي" وغير ذلك.

ثانيا: العلماء ورجال الدين:

يتميز نظام رجال الدين الصابئة بالطبقية، وتتلخص أهم درجات الكهنوت في أقسام خمسة:

1- الحلالي: ويسمية العامة "الشماس" أو "الشكندة".
2- الترميذة: وهي وظيفة كهنوتية أعلى من الأولى، ويصل إليها الحلالي إذا فقه كتابي (سدرا دنشماثا، وأنياني)، أوحفظ قسماً كبيراً منهما.
3- الكنزبرا: ويشترط الصابئة في الترميذة الذي يريد أن يرتقي إلى درجة (كنزبرا) أن يكون حافظاً لكتاب "الكنزا" ومطلعاً على كثير من التفاسير والشروح الدينية، ومتزوجاً، وسبق له أن عقد مهراً لـ "ترميذة" من قبل.

4- الأرشمة: وهي كلمة مندائية معناها (رئيس الأمة)، وليس بين الصابئة اليوم من بلغ الدرجة بعد.

5- الرباني: ويعتقد الصابئة أنه لم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلاّ يحيى بن زكريا عليهما السلام. وهناك أحكام عامة تتعلق برجال الدين يبينها المؤلف في الصفحات (78- 80) من قبيل أنه لا يجوز لرجل الدين أن يأكل من دار غير داره، إلاّ إذا كان قد عمد صاحبها بيده.

الفصل الثالث: العقيدة الدينية عند الصابئة

يحصر المؤلف بيان عقيدة الصابئة بأربعة أمور، معتبرها "قوام كل دين واعتقاد" وهي:

1- عقيدتهم في الخالق: ويبين المؤلف أن الصابئة يعتقدون بوجود الخالق وتنزيهه، وأنه حي أزلي، لكنهم يعتقدون (أو اعتقاد بعضهم) أنه يلي الإله في المنزلة 360 شخصاً... خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، إلاّ أنهم ليسوا بالآلهة.

2- عقيدتهم في النبوة: يعتقد الصابئة أنهم يتبعون تعاليم آدم عليه السلام، وإليه ينسبون كتابهم المقدس (كنزا) (صحف آدم) غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للدين، ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان والوثنية... أدخلت تعاليم غريبة في الدين. فجاء يحيى عليه السلام ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة، ولم يكن رسولاً، بل نبيّاً خاصاً بهم.

3- اعتقادهم بالملائكة: يسمونهم (الروحانية أو الروحانيين)، ويتقربون إلى الله بهم لأنهم يعتقدون باستحالة الوصول إلى الله عز وجل، وينقل المؤلف عن الشهرستاني قوله عن الصابئة أنهم اعتبروا الروحانيات (الملائكة) هم الأسباب المتوسطون في الاختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال...

4- عقيدتهم في اليوم الآخر: يعتقدون أن الصالحين منهم يذهبون بعد الوفاة إلى عالم الأنوار، وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام أو النار الموقدة، وهم لا يقرون بقيام الأجسام بعد وفاتها، وإنما تحاسب النفس خاصة.

ويضيف المؤلف على هذه الاعتقادات، اعتقادات أخرى تتعلق بفكرة الخير والشر، وبدء الخليقة والكون، تحمل في طياتها بعداً عن منهج التوحيد، كما يظهر من بيان عقيدتهم المشار إليها أعلاه.

الفصل الرابع: العبادات

1- الطهارة: يبالغ الصابئة بطقوس الطهارة والاغتسال، لدرجة أنهم لا يجيزون الاغتسال إلاّ بالماء الجاري (الأنهار).

2- الصلاة: تقتصر هيئة الصلاة على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من دون سجود، وتؤدى ثلاث مرات في اليوم: قبيل طلوع الشمس، وعند الزوال (الظهر) وقبيل غروبها.

3- الصيام: يعتبرون أن الصوم شيء روحاني، أي بالابتعاد عن الشرور والرذائل، وهم يمتنعون عن أكل اللحوم 36 يوماً مقسمة بين أيام السنة مشابهة للنصارى، وإن كان بعضهم يجامل المسلمين بالصيام معهم في بداية شهر رمضان.

4- الميراث: لم تتطرق العقيدة الصابئة إلى مسألة الميراث، إلاّ أنه جاء في بعض كتبهم أن من أراد التصرف بتركته بعد وفاته، لابد أن يكون قد أحسن إلى الفقراء والمحتاجين في حياته.

ويتحدث المؤلف في الفصلين الأخيرين من الكتاب عن الأحوال الشخصية عند الصابئة، والتي تشمل الزواج بشكل أساسي، ثم يتناول طقوسهم الجنائزية، ونظرتهم إلى الموت.

تعدو الذئاب على من لا أسد له

قالوا: اعترف تقرير أعدته لجنة المتابعة بمجمع البحوث الإسلامية بفشل الأزهر في مواجهة حملات التنصير التي تقودها منظمات شهيرة وعلى رأسها منظمة "كارتياس" بالعديد من الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة، وعلى رأسها النيجر وسيراليون والكونغو والكاميرون ، .. وقال إنها تفتقد إلي الكوادر القادرة على مواجهة مثل هذه الحملات، كما أن أعضاءها ليسوا معروفين للرأي العام.

موقع المصريون 15/5/2007

قلنا: طبعا هم ليسوا لجنة رياضية أو فنية!!

ويقضى الأمر حين تغيب تيم

قالوا: من المقرر أن يبدأ حفل ديني ضخم في الهند يعتنق خلاله الآلاف من الهندوس الديانة البوذية في مدينة مومباي... ويثير موضوع التحول الديني جدالا شديدا في الهند، بالأخص حين يكون إلى الإسلام أو المسيحية.

موقع المصريون 30/5/2007

قلنا: لو كان المسلمون على قدر التحدى لحرروا الملايين ليس من ربقة الإمتهان والعبودية فقط بل من ربقة الخرافة والوثنية أيضاً .

الكفر الفضائي!!

قالوا: يتم بث قناة فضائية على القمر الصناعي المصري تروج للفكر المنحرف الذي تعتقده الطائفة الأحمدية .. ومؤخرا عرضت القناة برنامجا تسخر فيه من الأزهر الشريف وعلمائه ..

موقع المصريون 19/5/2007

قلنا: أليس من المخجل أن يبث الكفر من خلال أجهزة أكبر دولة إسلامية عربية!!

نعم النصير!!

قالوا: أعلنت بعثة الأمم المتحدة في أفغانستان اليوم الاثنين أن أكثر من سبعين ألف لاجئ أفغاني طردوا من إيران منذ شهر وأعيدوا إلى بلادهم.

الوكالة الشيعية للأنباء 21/5/2007

قلنا: ويحدثونك عن نصرة الشيعة وإيران لقضايا المسلمين!!

سياحة عسكرية

قالوا: ألقت قوات الأمن اليمنية القبض على مجموعة من العناصر الإيرانية، وُصفت بأنها "متورطة في أعمال إجرامية" في محافظة صعدة الشمالية، حسبما أعلن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية اليمني رشاد العليمي أمس.

العربية نت 25/5/2007

قلنا: لا تذهب بكم الظنون بعيداً ، فهم كانوا في رحلة صيد بريئة فقط !!

زاد في الطنبور نغمة!



قالوا: أكدت مصادر عراقية أن ميليشيا "جيش المهدي" التابعة للشيعي مقتدى الصدر قامت بتكوين تشكيلات لفرق مسلحة جديدة أطلقت عليها اسم فصيل "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"وقد تلقت تدريبات في طهران بغرض تصفية وقتل عناصر من أهل السنة وارتكاب مجازر جديدة بعيداً عن إلصاق الجرائم بمليشيا جيش المهدي الدموية.

وكالة الأخبار الاسلامية 29/5/2007

قلنا: المشكلة هي في قائمة المنكرات الشيعية ، مثل ترك زواج المتعة ! أو عدم إسالة الدماء يوم عاشوراء أو لا يحسن الزحف على عتابات الأضرحة أما أم الكبائر فهي حب الصحابة والتسمي بأسمائهم!!

فسينفقونها ثم تكون حسرة

قالوا: أعلن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عن رصد 2 مليون دولار أمريكي لتطوير الدراسات الإسلامية بالجامعات البريطانية، وتشجيع ما وصفه بـ"الإسلام المعتدل" بحسب صحف بريطانية وأمريكية.

وكالة الأخبار الإسلامية 5/6/2007

قلنا: الاعتدال عندهم يعنى التفريط عندنا وذلك لأنهم لن يرضوا حتى نتبع دينهم !!

فمتي يسلم!!

قالوا: أكد يحيي بن يعيش كبير حاخامات اليمن أنه يحتفظ بكتاب للتوراة يعود إلى ما قبل 500 سنة ورثه عن والده يعيش بن يحيى ويحوي البشارة بالنبي محمد صلي الله عليه وسلم، وأن بها تطابق لما ورد في القرآن الكريم

وكالة الأخبار الإسلامية 29/5/2007

قلنا :لو كان هذا الخبر عند غير المسلمين لعقد له ندوات عالمية وتسابقت الدول على تبنيه ولكن هذا مثال على غثائية أمتنا حالياً.

طائفة "البهرة" تخطط لاحتلال الأزهر!!

موقع الحقيقة الدولية

علمت "الحقيقة الدولية" أن بعض قادة طائفة البهرة الأثرياء من الهند وباكستان يخططون لشراء عشرات المنازل حول الأزهر بأعلى الأسعار من أجل تحويل المنطقة إلى عمارات سكنية تضمن تواجدهم معظم فترات العام إلى جانب مزاراتهم المقدسة.

وأكد بعض أهالي الحارات القريبة من الأزهر أنهم تلقوا عروضا من بعض البهرة والهنود لشراء منازل عائلاتهم القديمة عبر سماسرة بأسعار خيالية تعادل سبعة أضعاف الأسعار التي يقدمها لهم رجال الأعمال ومواطنون مصريون.

وكان البهرة قد اشتروا أكثر من 17 عقاراً حول مسجد الحاكم بأمر الله في أواخر السبعينيات حتى تحولت الحارتان الملتصقتان بالمسجد إلى قطعة من الهند.

كما تمكن كريم أغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية الأغاخانية احد أغنى عشرة رجال في العالم من شراء أرض فضاء بمساحة 25 فدانا خلف التل المواجه لمستشفى الحسين الجامعي وخصصها لتأسيس مشروع اسماه "المركز العلمي لبحوث المذاهب الإسلامية".

ومن المقرر أن يضفي هذا المركز لأول مرة وجودا ثقافيا رسميا على الفرق الإسماعيلية في مصر بدعوى التقريب بين المذاهب علما بان فقهاء الأزهر وشيوخه عبر العصور اختلفوا في تحديد وضعية الفرق الإسماعيلية في الإسلام فهناك من اعتبرهم أصحاب طريقة شيعية صوفية وهناك من أفتى بخروجهم عن الملة وكفرهم بما أنزل على محمد.

والطائفة الأغاخانية الإيرانية تتشابه في عدد من معتقداتها مع طائفة البهرة وتتمتع الطائفة الأغاخانية التي لا يتجاوز عددها في مصر 50 شخصا بعلاقات وثيقة مع النظام في مصر منذ عهد الملك فؤاد وحتى الآن ولم تتأثر هذه العلاقة بالانقلاب على الملكية حيث احتفظ الاغاخان السابق محمد الحسيني بعلاقات مميزة مع جمال عبد الناصر ووطدها أكثر حفيده كريم الذي يعد من أغنى عشرة رجال في العالم ويمتلك عشرات الأراضي والعقارات في القاهرة ومدن الصعيد الكبرى.

فوجود هذه الطائفة السياسي والاقتصادي أقوى من وجود البهرة بشكل ملحوظ رغم أن أتباعهم في مصر لا يتعدون حسب تقديرات كريم أغاخان نفسه خمسين شخصاً.

كان سلطان البهرة الدكتور محمد برهان الدين الزعيم الروحي لأكثر من ألفي هندي يسكنون مصر ينتمون إلى طائفته قد زار مصر مطلع الشهر الجاري وفي سرية تامة وابتعاد متعمد عن وسائل الإعلام شارك السلطان وابناه مظفر وحذيفة في احتفالات موسم زيارة الطائفة الإسماعيلية لمزارات القاهرة الفاطمية الأخيرة وذلك قبل يوم من لقائه بالرئيس مبارك حيث أم برهان الدين المصلين من أبناء طائفته الذين التفوا حوله يتسابقون على حمله في مسجد الحسين والجامع الأزهر.

كما زار السلطان مساجد السيدات نفيسة وزينب ورقية ومسجد الحاكم بأمر الله وألقى هناك خطبة عن جده الذي يعتقد أنه مدفون في بئر المسجد وضريح قائد جيش

علي بن أبي طالب في موقعة صفين مالك الاشتر شرقي المقطم ومسجد احمد بن طولون على الرغم أن صاحبه لم يكن من آل البيت أو من أئمتهم البارزين وسار السلطان بين شوارع حي الأزهر على محفة حملها ثمانية رجال بين أكثر من ألف بهري معظمهم من الحجيج القادمين بصحبته من الهند.

كما أن السلطان برهان الدين وولي عهده مظفر اجتمعا مع اثنين من قيادات البهرة في مصر وتركز معظم الحديث عن وعود تلقوها من الحكومة المصرية بمنح أبناء الطائفة المقيمين في الخارج تسهيلات للسفر إلى مصر أكثر من مرتين في العام الواحد وبحثهم مع الرئيس مبارك توسيع استثمارات الطائفة في مصر والتعاون لتطوير المزارات والمواسم السنوية للحج.

الطرق الصوفية في السودان

بي. بي. سي. 14/5/2007

صفاء الصالح

السـودان بلد التصـوف بامتيـاز، إذ يتسم الإسـلام في السـودان بصـبغة صـوفية خاصة، بل أن الحيـاة اليومية فيه تصـبغ بهـذا الطـابع في الإيمـان الفطـري بالمشـايخ والأوليـاء الصـالحين. إما الأذكـار والمـدائح فتسـمعها أنى سـرت في الشـوارع، في المطاعم المحلات التجارية المختلفة وفي باصات النقل وسـيارات الأجـرة وفضلا عن الإذاعة الخاصة بالمدائح النبوية تمتلئ الإذاعة والتلفزيون السودانيين بها.

انتشرت الطرق الصوفية في كل أرجاء السودان حـتى وصل عـددها حسب بعض الباحثين إلى حـوالي أربعين طريقة أساسـية وفرعية ، لعل أشـهرها القادرية بفروعها المتعددة والختمية والسمانية والشاذليه والمكاشفية والمجذوبيه والادريسـية الاحمدية والرشيديه والتيجانية والإسماعيلية وعدد من الطرق الثانوية.

ويـرى الـدكتور حيـدر إبـراهيم رئيس مركز الدراسـات السـودانية ، إن الطـرق الصوفية في السودان في الفترة الأخـيرة أصـبحت انشـطارية وقد تحـولت إلى فـرق إقليمية وقبلية بعد أن كـانت قومية حيث يخـترق رجـال الصـوفية التنظيم القبلي ويفرزوا تنظيما اجتماعيا أوسع.

دخول الصوفية إلى السودان:



وتعد الشاذلية من أولى الطرق التي انتشرت في السودان قبل سقوط مملكة علوة عن طريق صهر الجز ولي المسمى شريف حمد أبو دنانه والذي استقر في بربر في عام 849 (1445م).

ويشير محمد الريح شيخ الطريقة القادرية العركية في الخرطوم إلى أن القادرية جاءت بعدها على يد الشيخ تاج الدين البهاري الذي نقل الطريقة من مركزها في بغداد وعاش في (وادي شعير) في الجزيرة لمدة سبعة أعوام.

تعد القادرية بتفرعاتها من أكثر الطرق انتشارا في السودان:

أما الطريقة القادرية العركية فقد نشأت على يد الشيخ دفع الله بن الشريف مقبل وقد جاء من الحجاز وقد اخذ بيعة الطريقة هناك من الشيخ حبيب الله العجمي خليفة الشيخ عبد القادر الجيلاني آنذاك، ثم جاء إلى السودان لنشر الدعوة واستقر في كردفان في منطقة تدعى (بئر سرار) ثم انتقل الى منطقة (أبو حراز)، حيث مركز الطريقة العام الآن.

وتعد القادرية بتفرعاتها من أكثر الطرق انتشارا في السودان ،ويقدر الشيخ الريح أتباع القادرية العركية في السودان بأربعة ملايين شخص .

ويرى المستشرق ج. سبنسر تريمنجهام أن مرحلة ثانية من المد الصوفي جاءت نتيجة لأحداث خارج السودان قد بدأت مع مستهل القرن التاسع عشر، كرد فعل للتوسع الأوربي السريع داخل الأراضي الإسلامية وظهور الوهابية ودعوتها للعودة للإسلام الأصلي ومهاجمتها لتأليه الأولياء والخرافات التي شابت الممارسة الإسلامية.

ويصف السيد احمد بن ادريس الفاسي (توفي عام 1836) الصوفي والمصلح الديني الذي تأثر بالوهابية بأنه الشخص الأكثر تأثيرا في السودان رغم عدم دخوله إليه، إذ أسس الطريقة الادريسية التي انتشرت في السودان كما كان معلم الرجال الآخرين، وهم من اسس وادخل الى السودان طرقا أخرى ، كمحمد المجذوب الصغير (1796-1832) حفيد مؤسس المجذوبية ، والذي اعاد احياء طريقته ونشرها في الشرق وسط البجا والشيخ ابراهيم الرشيدي (توفي عام 1874) وهو شايقي اسس الطريقة الادريسية في السودان من بين أماكن أخرى ومحمد عثمان الميرغني (1793 -1853)مؤسس الطريقة الميرغنية او الختمية إحدى أهم الطرق في شرق السودان وشماله وفي الخرطوم بحري.

كما ادخل احمد الطيب البشير الجموعي وهو قادري درس في المدينة على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، الطريقة السمانية الى السودان عام 1800والتي انتشرت في وسط السودان.

ودخلت التيجانية من مصر إلى بربر قبل المهدية بوقت قصير، على يد محمد بن المختار (المتوفى عام 1882) والمعروف بود العلية ونشرها آخرون من عرب أفريقيا أمثال عمر جانبو من الهاوسا في دارفور وكردفان ، وتعد هذه الطريقة من أنشط الطرق في غرب أفريقيا واحد العوامل الأساسية في نشر الإسلام فيها. وهناك طرق أخرى اقل حجما كالبرهانية والتسعينية والدندراوية والعزمية والطرق المصرية كالإبراهيمية الدسوقية والرفاعية والاحمدية البدوية والبيومية.

المسيد والخلوة:



يعد المسـيد حيث يقيم شـيخ الطريقة والخلـوة حيث يتم حفظ القـران الكـريم وتعلم أسـرار الطريقة المراكز الأساسـية في بنـاء الطريقة ، الـذي يتم على وفق تراتبية هرمية يقف في أعلاها (شيخ السجادة)، الذي عادة ما يكون له خلفاء يجـيزهم لتولي شـؤون الطريقة ونشـرها في منـاطق أخـرى ،ومقـدمون يتولـون إدارة شـؤون المسيد وأداء بعض الفعاليات نيابة عن الخليفة.

وينقسم أتباع الطريقة إلى قسمين، وهما نخبة محددة من الـدراويش أو الحـيران الذين سلكوا الطريق ونذروا أنفسهم كليا له وانقطعـوا عن الـدنيا للعبـادة واخذ أوراد الطريقة وإسرارها تحت توجيه شيخهم.
والقسم الثاني الذي يضم الأغلبية من أتباع الطريقة ، ويسـمونهم أولاد الطريقة ، وهم من يمارسـون حيـاتهم وأعمـالهم العادية ولكنهم يشـاركون في شـعائر الطريقة واحتفالاتها.
تعد منطقة (ام ضو البـان)، على بعد أكـثر من أربعين كيلومـتراً عن الخرطـوم ،مثال للمنطقة الصوفية ، فهـذه المدينـةكما يتحـدث النـاس فيهـا، قد أسسـها الشـيخ العبيد منذ أكثر من مئة وخمس وستين سنة عندما أقام خلوته لتعليم القـران فيها كما يحدثنا الشيخ الطيب خليفة الشيخ محمد البدر في ام ضو البان،
إذ يشـير إلى أن الشـيخ العبيد هو صـوفي قـادري كـان سـائحا في العبـادة ونشر القران ، وكان برفقة زميل له يـدعى الشـيخ المقـابلي حيث باتا في ضـيافة رجل من هذه المنطقة قدم لهما الطعـام، وقد قـام هـذا الرجل بمسح أرجلهما بـالزيت، وإثنـاء المنام رأى الشيخ رؤيا دعته لان يؤسس خلوته في هذا المكان.
وواصل الشـيخ العبيد طقس هـذا الرجل فكـان يمسح بـالزيت أرجل طلبته إثنـاء منامهم ، كما اخذت المدينة اسمها الجديد من النار الـتي أشـعلها في الخلـوة لقـراءة القران، ولم تنطفئ في المكان منذ ذلك الوقت ، حيث بات القـادمين يسـتدلون على الخلوة في الليل عندما يرون تلك النار فتحول اسم المدينة من ام ضبان (ذبـان) إلى ام ضو البـان ، في إشـارة إلى نـار القـران عنـدما يراها المسـافرون فيقولـون (الضو بان).
هذه الخلوة استحالت إلى مجمع ديني كبير كان الأساس في تكـوين المدينة يضم مسـجدا ومراقد شـيوخ الطريقة بـدءا من الشـيخ العبيد المؤسس في القـرن التاسع عشر وعدد من خلفائه.
وفي الخلـوة ألان كما يؤكد الشـيخ الطيب حـوالي ألف وخمسـمائة طـالب من مختلف أنحاء السودان او من بلدان مجاورة تـتراوح أعمـارهم بين سن خمسة أعـوام إلى السـبعين، ينصـرفون لدراسة القـران لسـنوات تتـوزع على ست سـنوات لحفظ القران وسنتين للتجويد وأربع سنوات للقراءات تتوزع بين الخلوة ومعهد ديني يعقبها.
وتقوم الخلوة بتوفير الطعام والملبس والعلاج لهم تراهم يمسكون بألواح خشـبية يكتبون عليها الآيات القرآنية ثم يقومون بغسلها بعد حفظ الآية لكتابة آيات جديدة.
محمد بلولة احد طلاب هذا المعهد ، وقد انتقل إليه بعد ان قضى سبع سنوات في الخلوة ، حدثنا عن نظام الدراسة في الخلوة ، التي تبتدئ فجرا مع صـلاة الفجر وبعد هذه الفـترة ينتقلـون إلى فـترة الضـحوية الـتي تنتهي في السـاعة العاشـرة والنصف صباحا.

ثم القيلولة وبعد القيلولة تأتي صلاة الظهر وتبدأ القراءة من الظهر حتى الساعة الثالثة والنصف ثم يأخذون استراحة لنصف ساعة ينتقلون بعدها إلى العصرية ومن ثم البركة التي يقوم بها الطالب بمراجعة حفظ لوحه.

وتأتي صلاة المغرب وتتواصل القراءة حتى صلاة العشاء وتتواصل بعدها حتى الساعة العاشرة والنصف ليلا ثم تأتي فترة (الأسبوع) حيث يقوم الطالب بمراجعة الأجزاء التي قام بحفظها من القران.

العباس الحسين محمد عثمان طالب أخر جاء من دارفور وقضى في الخلوة سنة ونصف وأكمل حفظ أربعة وعشرين جزءا من القرآن، ويقول انه سيكمل ثلاث سنوات ثم يذهب إلى زيارة أهله ليعود بعدها إلى الخلوة من جديد.

الشعائر: اذكار وأوراد:

يمثل الذكر جوهر الممارسة الصوفية، منذ تطورها في القرن الثاني الهجري، وتعني كما وردت في القران الكريم عبادة الله، كما يورد المستشرق تريمنجهام انها ترتبط ايضا بكلمة (ذكران) التي استخدمها السريان بالمعنى ذاته وينقسم لدى الطرق الصوفية الى ذكر صامت او خفي وذكر جلي.

التأثير القوي للطرق الصوفية في الحياة السودانية، جعل مختلف الأنظمة والقوى السياسية حريصة على استثمار قوتها في معاركها السياسية

وقد تحول الذكر لدى بعض الطرق الصوفية من ممارسة صوفية تعبدية تأملية إلى طقس جماعي يشترك فيه أبناء الطريقة . ويرى بعض الباحثين أن الطرق السودانية قد أدخلت عناصر افريقية مميزة في ترديد الأغاني والذكر تخلو منها الصوفية المشرقية.

وتشتمل حلقات الذكر على قراءة الأوراد (مفردها ورد ويعني الصلاة الصوفية الخاصة) والأحزاب القرآنية التي تتلى في أوقات مختلفة في اليوم او في أيام معينة ، وقد طور بعض المتصوفة الكبار أحزاب خاصة كما هي الحال مع الشاذلي والرفاعي والنواوي. ويستخدم التيجانية مصطلح (الوظيفة) التي يبدأون بقراءتها كما ألفها مؤسس الطريقة وتستعمل الاسماعيلية مصطلح (الراتب) للدلالة على شعائرها الخاصة.

ويبدأ الاستعداد للذكر بترديد كلمات (لا اله إلا الله) وكلمة الله مع صفات معينة مثل الحي القيوم .. الخ ويصاحب الذكر ترديد أشعار ومدائح نبوية او لأولياء وشيوخ الطريقة على إيقاع الدفوف، الذي يبدأ بتكرار بطيء، يتصاعد تدريجيا حتى يصل إلى إيقاع متسارع في (النوبة) يرافقه أداء حركات عنيفة ، ووصول الدراويش إلى حالة انجذاب روحي خاص قد يصابون بغيبوبة، أو يؤدون حركات راقصة صعبة.

وقد حدثنا عنها الدرويش عوض موسى إسماعيل وهو يرتدي ثوباً رقع بقطع مختلفة الألوان وامتلأ ثوبه بالأزرار والمسابح قائلا أن الدراويش يشعرون خلالها بروحانية عالية،فيتواجدون أي تحدث لديهم أحوال لاشعورية ويقومون بحركات غريبة

وقد يغمى عليهم وقد يصرخ أو يترجم البعض منهم أي يتحدث بلغات قديمة وانه كدرويش انه يشعر بسعادة طافحة ولا يشعر بأي تعب جسدي في هذه الحركات.

ويقول الشيخ محمد الريح خليفة الطريقة القادرية العركية في الخرطوم : ان هذه اللغة التي ينطق بها الدراويش هي السريانية، لان المتصوفة الأوائل اعتادوا على استخدامها كلغة خاصة يتحدثون بها في ما بينهم، ربما بسبب القمع الذي تعرضوا له واتهامهم بالزندقة والتجديف اتجهوا إلى تعلم هذه اللغة حتى يكونوا في تقية من أمرهم عند تشاورهم في شؤونهم التي كان البعض يرى فيها خروجا ويتهمهم بالخروج عن الدين.

وتتباين الطرق في أورادها ومواعيد أذكارها ففي الطريقة السمانية تبدأ الأوراد في الثلث الثاني من الليل ، ثم ورد السحر ثم الشروق فالخواتيم مع الصلاة ، كما إن لديهم ورد المغرب بين صلاة المغرب والعشاء.

ويقيم الختمية أذكارهم بانتظام يومي الاثنين والجمعة وتسمى (الحضرة) التي تعقد في المجلس أو الزاوية أو في حوش الخليفة أو الشيخ أو لدى احد أعضاء الطريقة حين تكون لدية مناسبة خاصة فيطلب إقامتها لدية ،وحين ذاك تستهل ب(الزفة) التي تبدأ من منزل الخليفة حيث يتجمع المريدين.

وتقام حلقات الذكر لدى القادرية كما يحدثنا الشيخ الطيب محمد البدر في ليلة الجمعة في السحر بعد منتصف الليل حتى آذان الفجر حيث تتلى المدائح للرسول ومشايخ الصوفية وعصر الجمعة بعد صلاة العصر وتسمى (العصرية) حيث تضرب النوبة.

وغير ذلك تحيى ليلة (المولد) وكذلك (الرجبية) في ذكرى الاسراء والمعراج وعقب كل عيد يكون هناك ذكر عصر كل يوم ولثلاثة أيام وصبيحة العيد تقام ضحوية كبيرة بعد صلاة العيد .

التصوف والسياسة:

ولعل هذا التأثير القوي للطرق الصوفية في الحياة السودانية، جعل مختلف الأنظمة والقوى السياسية حريصة على استثمار قوته تلك في معاركها السياسية، ما جعل الفرق الصوفية في السودان ليست بعيدة عن الممارسة السياسية ، بل أن نشوء الأحزاب السياسية التقليدية في السودان ارتبط بهذا التوزيع فتحدر الحزب الاتحادي الديمقراطي عن الطائفة الختمية وتحدر حزب الأمة عن طائفة الأنصار.

كما كان للحياة العصرية تداخلاتها مع رجالات الفرق الصوفية في السودان، إذ عمل البعض منهم أو أبناؤهم في مؤسسات الدولة وصار البعض منهم مستشارين ووزراء وسفراء.

وبرع البعض الآخر في الحياة الأكاديمية، كما هي الحال مع الشيخ حسن الفاتح قريب الله احد مشايخ الطريقة السمانية الطيبية، الذي وصل إلى درجة الأستاذية في الحياة الأكاديمية وترك أكثر من مئة مؤلف علمي . والشيخ كمال عمر الذي كان أمينا للشؤون السياسية في الاتحاد الاشتراكي في عهد الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري.

ويصف الدكتور حيدر إبراهيم لحظة نميري بأنها كانت مثـالا للاسـتخدام السياسي للطرق الصوفية في المعـارك السياسـية لأنه عجز بنظـره عن أن يبـني حزبا سياسـيا يجمع الناس حوله.
ويضيف ان الطرق الصوفية لا تلعب دورا سياسيا إلا عنـدما توظف وتسـتخدم من قبل السياسيين ، ويبدو أن ذلك هو ديدن السلطات والساسة الذين تعاقبوا على حكم السودان.
ويرى الدكتور إبراهيم ان هذه السلـطات اسـتخدمتهم لمحاربة مجموعة المثقفين الذين ظهروا بعد ثورة عام 1924 ونادي الخريجين ثم مؤتمر الخريجين ، وأنها نجحت في ذلك بل انه حتى الخريجين والانتلجنسيا السـودانية قد وجـدوا انهم لا يسـتطيعون التعامل مع الجماهير الا من خلال الطرق الصوفية.
فانقسـمت الانتلجنسـيا نفسـها إلى جـزأين ،جـزء ذهب مع عبد الـرحمن المهـدي والجزء الآخر مع عثمان الميرغـني . ولم يخـرج عن ذلك إلا جـزء بسـيط مع الأحـزاب العقائدية إلا انه لم يؤثر سوى في أوساط محددة من الطلبة والطبقة الوسطى.
ويتحدث عن ما يسميه بصوفية (الافندية)، حيث دخل عدد من المثقفين الحـديثين والموظفين والأكاديميين في سياق الطرق الصوفية لتحقيق مصـالح خاصـة، ويضـرب مثلا بالطريقة البرهانية التي كانت تضم كبار الموظفين ولذلك كان يتم تحقيق مصالح مشتركة من خلال تداخل الأخوية الصوفية مع بيروقراطية الدولة.
ويخلص الدكتور حيدر إبراهيم الى انه إزاء الانشطارات والتي عاشتها الطرق الصوفية وتوزيعها الافليمي، وتوزع استخداماتها بين اتجاهات سياسية متعددة، فان دورها سيقتصر على الجانب الثقافي والاقتصادي ولن تلعب دورا سياسيا مهما في المرحلة القادمة.

من تصدير الثورة إلى تصدير المتعة

بقلم – علي الكاش (باختصار)

الايدز في إيران:

في الصراع السياسي بين تيار المحافظين والتيار الإصلاحي، كانت هناك الكثير من النقاط محور خلاف بين الفريقين لكن الذي يخصنا في هذا البحث، هو المشاكل الجنسية التي أمست تشكيل تهديداً حقيقياً للمجتمع الإيراني، وانتشار الايدز بسبب المخدرات وزواج المتعة، وانتشار دور الدعارة ولا سيما في المناطق ذات الطابع الديني مثل مدينة قم وطهران ومشهد.
ويشكو محافظ مدينة قم من انتشار بيوت الدعارة في مدينته المقدسة، وهي مدينة الحوزة العلمية، وفي اجتماع مع المسئولين في المحافظة، ذكر بأن عدد بائعات الهوى في المدينة يتجاوز (20000) امرأة، هذا حسب ما مسجل في حين إن الأرقام الحقيقية هي أضعاف هذا العدد. فقد ألقي القبض عام 2001 على أكثر من (17000) امرأة تمارس الرذيلة تحت ستار "زواج المتعة".



وتشير المعلومات بأنه تم إلقاء القبض على أكثر من (10000) فتى وفتاة بسبب سلوكهم الذي لا يتوافق مع الإسلام، ومنطلقات الثورة الإسلامية، كما تم العثور على كميات كبيرة من المشروبات الروحية، وأوراق اللعب(القمار) وغيرها من "أدوات الوقوع في الحرام" كما يسميها زعماء الدين الإيرانيين.

وتشير الصحف الإيرانية إلى أن مدينة قم تحولت إلى مرتع خصب لتجارة المخدرات أيضاً، وكشف عام 2001 عن فضيحة "غولشهر" التي هزت إيران وقتذاك عن إيجار الفتيات القاصرات وتزويجهن كرهاً عبر زواج المتعة.

وكان الأمر يجري تحت رعاية رجال الدين وبتشجيع منهم، وكانت الفضيحة تتعلق بإنشاء "مؤسسة رعاية شؤون الفتيات الهاربات" عام 1997، وذلك لإيواء والاعتناء بالفتيات اللواتي يهربنّ من بيوتهنّ، بسبب تعرضهنّ للتحرش الجنسي من عوائلهن أو سوء المعاملة، أو بسبب إدمان آبائهنّ على المخدرات. وتبين بعد التحقيق أن رجال الدين والمسئولين الأمنيين وكبار القضاة قد تزوجوا منهن لساعات "زواج المتعة" دون اعتبارات العدة القانونية والشرعية، ومن ثم بدءوا بعرضهن على الزبائن، وقد أصيب عدد منهن بمرض الايدز. ويذكر حجة الإسلام موسوي بأن معلومات وصلت أليه تفيد بأن "فتيات" المؤسسة كن يغادرنها ليلاً رغم أن التعليمات لا تجيز ذلك وعلى متن حافلات تعود للحرس الثوري الإيراني، وسيق رئيس المركز(حجة الإسلام منتظري مقدم) مع عدد من رجال الدين ورجال الأمن والقضاء إلى العدالة.

وتم إغلاق المركز بسبب تحوله إلى مركز للتجارة والاستغلال الجنسي للمئات من الفتيات القاصرات، ومن الجدير بالذكر أن الرئيس السابق محمد خاتمي أصدر أوامر مشددة بالتكتم على أسماء رجال الدين الشيعة الذين وردت أسمائهم في التحقيق، ولا سيما أولئك المنتمين إلى الحوزة العلمية في قم للحفاظ على سمعتهم؟ ولكن بالرغم من هذه الإجراءات فقد تسربت بعض الأسماء ومنها حجة الإسلام حسين علي شاكري، وحجة الإسلام قلي زادة وآخرين.

وكانت الفضيحة الثانية عندما ألقي القبض على سعيد هاني الذي قتل (16) مومس إرضاءً لله وحماية للدين، لأنهن عاهرات يفسدن الأخريان حسب قوله، ولا سيما أنهن يمارسن الدعارة تحت غطاء الزواج المؤقت قرب مدينة مشهد المقدسة، حيث مزار الأمام الرضا، وعقب رئيس الشرطة على أقوال المتهم بأن الدعارة "واقع مرير في إيران" وأن الأمر يحتاج إلى إرادة قومية، وشكا من عدم توفر مؤسسات إصلاحية للعاهرات.

وفي تصريح لوزير الصحة الإيراني عام 2001 ذكر د.علي سياري بأن عدد المصابين المسجلين رسمياً بفيروس الايدز في طهران أكثر من (15) ألف شخص وأن العدد يتضاعف سنوياً بستة أضعاف. ويعرب المسئولون في وزارة الصحة الإيرانية عن خشيتهم من أن يكون عدد المصابين حالياً بحدود (60-70) ألف شخص، ويؤكد هؤلاء أن العدد الصحيح غير معروف وربما يتجاوز هذه التقديرات، وأوعز الوزير سبب انتشار المرض إلى زواج المتعة قائلاً "إن انتشار زواج المتعة جعل مكافحة هذا المرض صعباً، حيث يجيز القانون للرجال الزواج بأكثر من امرأة وبأوقات مختلفة مما يساعد على انتشار الأمراض التناسلية ومنها الايدز"، ويرى عدد من المحللين أن انتشار الايدز في إيران يرجع إلى :



العامل الأول هو انتشار ظاهرة المخدرات وتعاطيها عبر وخز الإبر،حيث تشير المصادر بأن عدد المدمنين الإيرانيين يصل إلى حوالي (4) مليون شخص، منهم (200000) يتعاطونها عبر الإبر.

والعامل الثاني:- العلاقات الجنسية غير الشرعية كالبغاء وزواج المتعة الذي يشجع رجال الدين الإيرانيين عليه ويعتبرونه حلالاً.

والعامل الثالث:- العوامل الاجتماعية والاقتصادية، بسبب الجهل والفقر وارتفاع نسبة الأميين، إضافة الى البطالة والتي تصل بحدود 25% من عدد القادرين على العمل، إضافة الى ارتفاع نسبة التضخم التي تصل الى35%، كما أن حوالي 53% من السكان يعيشون تحت خط الفقر، يضاف الى ذلك ضعف الوعي الصحي، وانخفاض مستوى الخدمات الطبية، وعدم السيطرة على بيوت الدعارة.

ويستغرب عدد من الإيرانيون قيام الدولة بشن المداهمات على الأماكن العامة، للبحث عن مرتدي الـ" تي شيرت" وبناطيل الجينز الأمريكية، أو البحث عن الأقراص المدمجة، والعاب الحاسوب، ومساحيق الزينة والماكياج باعتبارها أسلحة ثقافية يستخدمها الغرب لضرب الثورة الإسلامية ومبادئها، في حين أنها تغض النظر عن ظاهرة زواج المتعة وانتشار أماكن الدعارة وتجارة المخدرات؟ وترى الدكتورة (مينو محرز) الأخصائية المعروفة بمرض الإيدز ضرورة القيام بحملة توعية شاملة لمكافحة المرض، والقضاء على أسبابه ومنها المخدرات وزواج المتعة.

وضع المنظرون الإيرانيون حلاً لمشكلة بيوت الدعارة وتفشي حالات الفساد والانحلال الخلقي، من خلال إنشاء ما يسمى " بيوت العفة" ولا شك أن القارئ من خلال العنوان سيتبادر إلى ذهنه بأنها بيوت لنشر الوعي الديني والثقافي والصحي، وإرشاد الفتيات إلى قواعد بناء الأسرة المقدسة في الإسلام، ولكن الحقيقية هي خلاف ذلك، فقد استبدلوا أسم"الدعارة" إلى "العفة" فقط تحت يافطة جمع النقيضين وبطريقة تدل على الفراغ الفكري، والسطحية الدينية، وذكروا بأن بيوت العفة الغرض منها مكافحة الفحشاء، والعلاقات غير المشروعة بين الجنسين، والأمراض الجنسية الناجمة عنها وخاصة مرض الايدز.

وتمكنت صحيفة الشرق الأوسط من الحصول على وثيقة تتضمن معلومات أغرب من الخيال عن طبيعة عمل هذه البيوت، ومنها ممارسة الرذيلة فيها تحت تسمية الزواج المؤقت أو زواج المتعة لمدة زمنية تتراوح بين ساعة واحدة و(99) عام؟؟ وان الزوجين " حسب تسمية الوثيقة" يمنحون الأذن بالإقامة في الفنادق أو إيجار البيوت، ويشرف على بيوت العفة رجل دين بدرجة أمام وطبيب وشرطي، للتأكد من خلوهم من الأمراض الجنسية، ولم يغيب عن خلد رجال الدين "الخمس" فأوجبوا أن تدفع أجور لرجال الدين من قبل المتمتعين، وحددت قيمة الزواج ما بين (30) ألف تومان إلى مليون حسب العمر والجمال وفترة الزواج، ولا يحتاج الرجل في هذا سوى مجهوده وشهادة سلامة صحية مع عدم تناسي تقديم الخمس للسادة؟؟

وللحق فإن بيوت العفة وضعت شروطاً قاسية لمن يحق لهن ممارسة هذا الزواج وهنّ الأرامل، والنساء غير الراغبات بالزواج الدائم؟ والطالبات والفتيات اللواتي يقمن في مناطق بعيدة عن الأهل؟؟ إضافة إلى الفتيات غير الجميلات والمرضى؟؟



والمدهش أن الجانب الإيراني بدلا من أن يضع الحلول الجذرية لهذه الآفة المميتة ويقتلع أسبابها، فإن الجهات الرسمية تتجاهلها وتصر على أن إيران تحتل مرتبة متأخرة في قائمة الدول التي ينتشر فيها الايدز.

زواج المتعة تعريفه ونبذة تاريخية عنه:

يعرف زواج المتعة بأنه عقد يقرر فيه الرجل والمرأة غير المتزوجة المدة التي يقرران خلالها البقاء مع بعضهما، والمال الذي تتقاضاه المرأة لقاء تقديم خدماتها الجنسية للرجل، وهو لا يتطلب عقد أو شهود أو تسجيل لدى المؤسسات الرسمية، كما يعرف كذلك بأنه زواج - إن صحت التسمية - يقصد به الطرفان بالاستمتاع الجسدي بينهما لفترة يتفق عليها، ولقاء أجر معين وينتهي بانتهاء أجله. ويختلف الزواج كرابطة مقدسة عن زواج المتعة في أن الأخير يتم بالاتفاق على أجل محدد، وتقع الفرقة بانتهاء الأجل، في حين أن الزواج الدائم ينهيه الطلاق البائن وتترتب عليه عدة واجبة شرعاً، كما أن المرأة يحق لها في زواج المتعة الأجر المتفق عليه فقط، في حين يترتب للزوجة الدائمة الحق في الميراث والنفقة وسائر حقوق الزوجية، كما أن عدة المطلقة من نكاح يضمر نيّة الطلاق كعدة مثيلاتها، أما في المتعة فللمرأة بعد انقضاء متعتها عدة خاصة تخالف عدة المطلقة، كما أن الزواج بنية الطلاق قابل للاستمرار، إذا أرد الزوج ذلك وغير من نيته، ولا يحق له ذلك في زواج المتعة وكذلك للمتمتعة بعد انقضاء الأجل، وفي الوقت الذي لا يحق للرجل أن يتزوج أكثر من أربع نساء، ففي زواج المتعة يحق له ما يشاء حسب قدرته المالية والجنسية، والزواج الدائم يستدعي الإعلان عنه ووجود شهود ويسجل في دوائر الدولة، وهذا غير موجود في الزواج المؤقت، والهدف من الزواج هو الإنجاب وبناء الأسرة والمحافظة على النسل البشري، اما الزواج المؤقت فالهدف منه اللذة الجنسية فقط.

وتشير المصادر التاريخية بأن هذا النوع من الزواج عرف في الجاهلية وتبعها إلى الفترة الانتقالية الأولى للإسلام، فقد عرف الزواج المؤقت في عهد الرسول (صلى الله عليه و سلم) وحرمه الرسول بعد ذاك، ويرى عدد من علماء المسلمين، أن الرسول كان يتخذ سبلاً للترخيص فيما يخفف عن المسلمين عند الضرورة، حتى إذا أنسوا أحكامه عاد فحرمه، وكان السبب في السماح به، أن الفترة الانتقالية من الجاهلية إلى الإسلام، كان الزنا فيها منتشراً بين العرب، ولما أنضو تحت لواء الإسلام وبدأت الغزوات والجهاد ابتعدوا عن نسائهم وكان عدد منهم قد طلب من الرسول أن يستخصى، لكن الرسول نهى عن ذلك، وسمح لهم بزواج المتعة، وهو نفس ما درج عليه الإسلام في السماح بالربا وشرب الخمر ومن ثم نهى عنهما، وقد ورد ذلك في صحيحي مسلم والبخاري في أحاديث النهي، كما ورد عن الصحابي سبرة الجهني، بأنه "غزا مع النبي (صلى الله عليه و سلم) في فتح مكة، فأذن لهم في متعة النساء، فلم يخرج منها حتى حرمها الى يوم القيامة" وهكذا أجمع الفقهاء، وشذ عنهم أبن عباس (رض) حيث أباحها عند الضرورة، فقد سأله سائل عن متعة النساء فرخص بها، من ثم تبين له أن الناس توسعوا فيها ولم يقتصروا على الضرورة، فرجع عنها.



وتشير المصادر بأن الصحابة أجمعوا على تحريم نكاح المتعة، سوى ابن عباس ونفر قليل وأنه لم يكن مباحاً بشكل عام، وأقتصر على الضرورات فقط، ويرى العديد من الفقهاء أن الزواج هو الرابطة المقدسة في الإسلام مستشهدين بالكثير من الآيات الكريمة ومنها " وبعولتهن أحق بردهن" و "لهن مثل الذي عليهن بالمعروف" " حتى تنكح زوجاً غيره" والآية الكريمة " والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ". وتحدثنا الدكتورة شهلا الحائري في كتابها " المتعة" بأن زواج المتعة يرجع إلى الديانة المجوسية، وتشير الأساطير إلى زواج الملك رستم من ابنة الملك سامانغام بطريقة الزواج المؤقت، وأنجبا الملك سهراب ، وكذلك الأمر في الديانة الزرادشتية حيث يحق الزواج المؤقت بين أتباع الديانة حتى في حالة وجود زواج دائم بين الزوجين، فيحق لكل منهم أن يتزوج بشكل مؤقت، ومنذ سقوط نظام الشاه وتسلم الخميني السلطة عام 1979 أصبح زواج المتعة شائعاً في إيران.

موقف المذهب الشيعي:

رغم أن الأحاديث المتواترة عن آل البيت رضوان الله عليهم بتحريم زواج المتعة، لكن فقهاء المذهب الشيعي الأثنى عشري سمحوا به استنادا إلى رواية أبن عباس من جهة وتنكيلاً لأبن عمر الذي نقل عنه أمر النهي، وقد سئل أبن عمر عن المتعة فقال: حرام ، فقيل له : أن أبن عباس يفتي بها فقال "فهلا تزمزم بها في زمان عمر". أي لماذا لم يفتي بها في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؟

وتفيد المصادر الشيعية بأن عمر بن الخطاب أول من قام بتحريم زواج المتعة وليس الرسول، ومن المعروف عن عمر بن الخطاب قوله "لو تقدمت فيها (المتعة) لرجمت" ويدعي الفرس أن ابن الخطاب كان يخشى على أمته من العجم وحفاظاً على نسبهم حرم المتعة، منوهين بأنه لا يحق لعمر أن يحرم، مستندين إلى رواية أبن عباس، بالرغم انه ورد في صحيح مسلم حديث للرسول (صلى الله عليه و سلم) جاء فيه "**كنت قد أبحت لكم زواج المتعة، وأن الله قد حرمه إلى يوم القيامة**".

كما ورد عن الترمذي حديث عن سفيان عن الزهري عن عبد الله والحسن أبني محمد بن علي عن أبيهما عن الأمام علي (ع) أن النبي (صلى الله عليه و سلم) نهى عن متعة النساء وعن لحوم الحمر.

تذكر الروايات الشيعية أن الأمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) سئل عن المتعة فأجاب بأن المتمتع "ينال ثواباً عن كل كلمة تبادلها مع المرأة، ويمنحه الله ثواباً عندما يمد يده إلى المرأة، وعندما يدخل عليها، يغفر الله جميع ما تقدم من ذنوبه، وعندما يغتسل تحل عليه رحمة الله ومغفرته عدة مرات، على عدد الشعرات التي تبللت بمياه الاغتسال".

ولا شك أن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تفند هذا الادعاء المنسوب ظلماً للإمام الكبير (ع)، الذي حاشا أن يتكلم بهذه الطريقة المكشوفة، التي يتورع حتى السفهاء بالحديث عنها هكذا؟ فكيف بحفيد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) ومن الطبيعي أن هذا الكلام المتهرئ من وضع الفرس فقد ورد في مراجعهم الكبرى عند المجلسي والطوسي والطبرسي والنعماني والكليني وغيرهم.

موقف رجال الدين المعاصرين من زواج المتعة



فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية كان رجال الدين ينظرون لهذا المرض وغيرها من الأمراض الجنسية الناجمة عن العلاقات الجنسية غير الشرعية نظرة من يرتكب الخطيئة، انطلاقا من الدفع باتجاه إقامة علاقات جنسية مشروعة في إطار الزواج والابتعاد عن السلوكيات المنحرفة، وغالباً ما كان يحجر عن المرضى بسجون أو مناطق عازلة ويبعدون عن المجتمع.

وبالنسبة للديانة المسيحية فقد كان رجال الدين يطالبون بمعاملة مرضاه بالرحمة و المسامحة وعدم نبذهم أو حجرهم، أما الديانة اليهودية فقد كانت قريبة من موقف علماء المسلمين في ممارسة العلاقات الجنسية ضمن الزواج باعتباره علاقة مقدسة ورابط اجتماعي وشرعي.

وفي الدورة التاسعة لمجمع الفقه الإسلامي الذي عقد عام 1991 رفض المجمع الزواج المؤقت، معتبراً أنه زواج فاسد لوجود معنى المتعة فيه، وهو مبني على جهالة.

ومن ابرز الفقهاء المحدثين الذين رفضوا هذا الزواج واعتبروه محرماً الشيخ محمد شلتوت، رغم أنه من الدعاة غالى تقريب المذاهب، فقد ذكر بأن هذا الزواج ليس الزواج الذي شرعه الإسلام ونزل به القرآن، فقد ربط القرآن الزواج بأحكام كثيرة منها التوارث وثبوت النسب والنفقة الزوجية والعدة والطلاق والظهار واللعان وحرمة الزواج من خامسة وغير ذلك مما لا يوجد في الزواج المؤقت.

كما أفتى الشيخ يوسف القرضاوي بأن الزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ يقوم على نية العشرة المؤبدة بين الطرفين، لتحقيق ثمرته النفسية من السكن النفسي والمودة والرحمة، وغايته النوعية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني، أما زواج المتعة فلا يتحقق فيه المعنى الذي أشرنا إليه.

كما جاء عن الشيخ فيصل مولوي بأن هذا الزواج محرم، لأن الغاية الأساسية من الزواج هي بناء العائلة والتربية الصالحة للأبناء، وهذا يتم عبر الزواج الدائم.

أما الشيخ عبد الفتاح أدريس فقد ذكر بأن زواج المتعة لم يكن مباحاً بوجه عام، وإنما كان يباح في حال الغزو، عند شدة العزوبة على المجاهدين العازيين في سبيل الله، لأنهم تركوا زوجاتهم خلفهم، وكان الجهاد يستمر عدة أشهر، فكان الوحي ينزل على الرسول (صلى الله عليه و سلم) بإباحة هذه المتعة، ثم بعد أن ينتهي سبب تشريعها ترتفع الإباحة ويكون الحرمة، وقد تعدد هذا عدة مرات، وأقتصر أباحته على الغزو وعلى المجاهدين الغازين في سبيل الله، إلى أن جاء التحريم القاطع بنكاح المتعة، وأصبح أمر المتعة عند أهل السنة وغيرهم من المحرمات، ولم يقل بإباحته في أيامنا هذه إلا الشيعة الأمامية لتأويل عندهم بإباحته.

بعد تصدير الثورة الإسلامية تصدير الدعارة إلى العراق

كان للانفلات الأمني الذي حصل بعد دخول قوات الاحتلال إلى العراق وما صاحبه من فوضى شملت كل مرافق الحياة، ولا سيما فتح الحدود أمام كل من هب ودبّ من كافة الجهات ونزوح مئات الآلاف من العراقيين من التبعية الإيرانية إلى العراق بدعوى أن النظام السابق طردهم، إضافة غالى محاولة النظام الإيراني بتغيير

وطبوغرافية المنطقة الجنوبية لضمها إلى سيطرته، ولضمان فدرالية الجنوب فقد نزح هؤلاء الى العراق بدعم إيراني ودعم من الأحزاب الشيعية المنضوية تحت الولاء لإيران، وقام هؤلاء عبر المؤسسات الخيرية الإيرانية، والتي لم يجد العراقيون لحد الآن أي خير منها ومسميات أخرى بالتوافد بطريقة غير معقولة.

ويذكر عضو مجلس محافظة كربلاء "بأنهم زودوا بالهويات العراقية وحصلوا على الجنسية العراقية رغم أن العديد منهم لا يتكلم العربية ويتكلمون الفارسية بطلاقة "وأشترى عدد كبير منهم أراضي وبيوت في المناطق الجنوبية من العراق وفي كربلاء والنجف.

وكشفت التقارير أن رئيس الوزراء السابق إبراهيم الجعفري وزع الكثير من الأراضي لهم تحت يافطة جمعيات إنسانية وبناء حسينيات، وأصبحوا مواطنين عراقيين رغم أنف الجميع، كما توافد مئات الألوف من الإيرانيين إلى المناطق المقدسة لغرض الحج، ومعذرة من هذه التسمية.

ولكن كما هو معروف في المذهب الشيعي بأن شد الرحال إلى العتبات المقدسة في العراق أهم بكثير من شد الرحال إلى الكعبة المشرفة، ويطلق الإيرانيون لقب "حاج" على زائر هذه العتبات معتبرين أن الحج للكعبة لا يقل أهمية عن الحج لكربلاء والنجف بل إن بعض مصادرهم تعتبرها اوجب واهم من حج الكعبة، في الوقت الذي يسمونه في العراق " الزاير للرجل والزايرة للمرأة " وكان الزوار سابقاً – في ظل النظام البعثي السابق- يخضعون إلى تعليمات صارمة، وحتى على مستوى الوفود الرسمية؟

وكان هؤلاء الوافدين بصفة زوار أو مؤسسات خيرية إيرانية تحت مسميات أسلامية، أو حجاج إيرانيين، قد جلبوا معهم أمراض إيران وخاصة المخدرات والايدز، عبر التزاوج مع العراقيين بـ"زواج المتعة" وكذلك عبر تعاطي المخدرات عن طريق الحقن بالإبر، وسنركز على موضوع الدعارة وزواج المتعة باعتباره العامل الأول لانتشار الأمراض التناسلية وأهمها الايدز، كما أكدت التقارير الدولية والمسئولين الإيرانيين والعراقيين على حد سواء.

القنوات الإيرانية

- عبر تجارة المخدرات، فقد كانت إيران المرجع الأول لتجارة المخدرات في العراق ومنطقة الخليج، وتم إلقاء القبض على المئات من المتاجرين بها والذين أكدوا بأنهم يجلبونها من إيران، كما أشارت الكثير من المصادر العراقية الرسمية إلى هذه الحقيقية وسننشر حلقة خاصة حول موضوع تجارة المخدرات في العراق وآثارها.
- الترويج إلى زواج المتعة من خلال إرسال الآلاف من النساء إلى المنطقة الجنوبية من العراق والعتبات المقدسة كالنجف وكربلاء بدون "محرم" كما هو الأمر في الحج إلى الكعبة المشرفة، وكان عدد من هذه النسوة ممن يمارسن الرذيلة في إيران، وقد وجدن الفرصة مناسبة لمارستها في العراق لتحقيق الأرباح وتدمير أركان المجتمع العراقي بدعم من الجمهورية الإسلامية، التي اعتبرتها أفضل الطرق للحد من انتشار الظاهرة في إيران وتصديرها إلى العراق الممزق، لتنظيف إيران منها من جهة والاستفادة من الأموال الناجمة عنها، إضافة إلى تدمير الروابط الاجتماعية في العراق المحافظ على القيم واحترام رابطة الزواج وتقديسها وكذلك كطريقة للانتقام من البلد



الذي أذاق زعمائها السم الزعاف خلال الحرب العراقية الإيرانية وإرجاع الحياة إلى المشروع الشعوبي القديم.
- الزوار الإيرانيون، حيث يشير عضو المجلس المحلي لمحافظة كربلاء بأنه " يؤم المدينة سنوياً الملايين من الزوار، وكانوا سابقاً – النظام البعثي السابق- يخضعون إلى تعليمات صارمة، وشروط معينة كي يتمكنوا من زيارة العراق والأماكن المقدسة" ومن المعروف أنه في النظام السابق كانت الشهادة الصحية للخلو من مرض الايدز، إضافة إلى وجود فرق صحية في المجمعات الحدودية تقوم بفحص الوافدين من الخارج "فحص الايدز" من الشروط الأساسية للدخول إلى العراق، وحتى على مستوى الوفود الرسمية، ولكن مع انهيار النظام انهارت كافة القوانين والنظم والتعليمات حتى تلك التي تصب في صالح العراق وشعبه، على اعتبار أنها جزء من أرث النظام السابق وألغيت أو تركت دون العمل بها؟

وكان هؤلاء الوافدين بصيغة مواطنين عراقيين أرجعت لهم حقوقهم، أو مؤسسات خيرية إيرانية تحت مسميات أسلامية، أو الحجاج الإيرانيين، ويشير السيد حسين حداد عضو اللجنة المكلفة بحفظ النظام في الحضرة الحسينية أن أكثر من (500) إيراني يطوفون في المقام، ولا حظ كلمة يطوفون لتأكيد كلامنا حول اعتبار الزيارة كالحج، ويوضح المسئول الأمني هاشم عبد الأمير أن الزوار "يجتاحون الحدود خلسة، ويتنقلون بالحافلات دون ادني تنظيم، ويدخلون معهم المخدرات".
ويضيف عبد الحسن محمود أمام الضريح الحسين (ع) بأن "القادمين خلسة هم مصدر المشاكل للعراق، وإنهم يسيئون لسمعة الزوار" من خلال تصرفاتهم وقد جلبوا معهم أمراض إيران وخاصة المخدرات والايدز، عبر التزاوج مع العراقيين بـ"زواج المتعة" وكذلك عبر تعاطي المخدرات عن طريق الحقن بالإبر، وقد تحدثنا في حلقة سابقة عن موضوع المخدرات ودور إيران في تخريب العراق عبر هذه القناة، وسنركز على زواج المتعة باعتباره العامل الأول لانتشار الأمراض التناسلية وأهمها الايدز في العراق، كما أكدت التقارير الدولية والمسئولين الإيرانيين والعراقيين على حد سواء.
ومن الجدير بالذكر أن مستشار الأمن القومي العراقي كريم شاهبوري (موفق الربيعي) خلال زيارته الأخيرة إلى البلد الأم إيران أكد على ضرورة تعزيز الجانب الأمني وآلية دخول الزوار الإيرانيين إلى العتبات المقدسة، ولكنه لم يبين ما هي هذه الآلية التي لم ترى البصر لحد الآن، وهل هي تخدم العراق أم الأجندة الإيرانية؟
- قيام رجال الدين الإيرانيين الزائرين للعراق، والأحزاب الشيعية الموالية لإيران بترويج ظاهرة زواج المتعة والدعوة إليها، من خلال الإصرار على أنها حلال ولا تتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والدليل أن كبار المراجع العظام يمارسونها بلا هوادة وفعلاً بدأ مفعول الدعاية الدينية يسري كالهشيم أولا بين الشباب العراقيين ومن ثم انتقلت العدوى إلى النساء العراقيات، وساعد على انتشار الظاهرة وجود العديد من النساء العوانس في العراق بسبب الحروب الثلاثة التي خاضها النظام السابق واستشهاد وأسر وتعويق أكثر من نصف مليون عراقي. يضاف إلى ذلك خلو العديد من الأسر العراقية بسبب هذه الحروب لسلطة الأب الذي أستشهد وعوق، علاوة على الفقر والحصار الاقتصادي، وسوء المعيشة بعد غزو العراق من قبل قوات التحالف، وانتشار حالات الاغتصاب في السجون ومراكز الشرطة من قبل هذه القوات

والميليشيات التي تختطف النساء ويتحولن إلى الدعارة مخافة الرجوع إلى الأهل، وتشير المعلومات إلى تعرض أكثر من (2000) امرأة خلال العام الحالي إلى الخطف من قبل هذه الميليشيات، ناهيك عن اعترافات الجنود الأمريكان باغتصاب عدد من الحرائر العراقية وكانت آخرهم الشهيدة الملاك عبير قاسم حمزة.

- هناك العشرات من المؤسسات الخيرية الإيرانية في المناطق المقدسة في العراق وهي ذات نشاطات مخابراتية غريبة ومبهمة، ويشير عدد من العراقيين الذين يرفضون الإفصاح عن هوياتهم بسبب الخوف من القتل، باعتبار أن الإيرانيين هم أصحاب النفوذ الفعلي في مناطقهم وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وان من جملة نشاطات هذه المؤسسات ترويج ظاهرة انتشار الدعارة وزواج المتعة من خلال البيوت التي تملكها، وتسخيرها لبعض رجال الدين من ذوي الأصول الإيرانية لعقد الزواج المؤقت والتشجيع عليه.
- بسبب عدم الرقابة الحكومية على المطبوعات الواردة إلى العراق، فقد انصبت دور النشر الإيرانية بتسويق عشرات الألوف من الكتب الشيعية التي تخدم أغراضها في العراق، وكانت الأسعار مدعومة من قبل النظام الإيراني، وتباع بخصومات مالية كبيرة إلى الموزعين العراقيين تصل نسبتها إلى 75% من أسعارها الحقيقية، وبشروط دفع أشبه ما تكون بالمجانية، وراجت الكثير من المطبوعات التي تحرض شيعة العراق على زواج المتعة وتؤكد انه حلال في الإسلام وانه كان مباحاً في عهد الرسول (صلى الله عليه و سلم) لكن عمر إبن الخطاب هو الذي حرمه وانه لا يحق لعمر أن يحرم ما لم يحرمه الرسول، ويحدثنا أحد مستوردي الكتب من إيران، بأنه أستورد عشرات الألوف من كتاب شهلا الحائري "زواج المتعة" - وهي حفيدة آية الله الحائري التي تحلل الزواج المؤقت، وتنسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب تحريمه وليس الرسول (صلى الله عليه و سلم) -وأن الطلب عليه متزايد في العراق، ولما سألته أليس في ذلك خطراً على الشباب؟ أجابني بأنه استفتى المراجع في النجف وشجعوه على جلبها لتنوير شيعة العراق حول هذه المسألة المهمة ؟
- مما شجع على ظاهرة انتشار الدعارة والزواج المؤقت أن بعض المناطق كانت مؤهلة لاكتسابها، لعوامل جغرافية وتاريخية، ففي البصرة عرفت مناطق محددة تنشط فيها بيوت البغاء والتي غالباً ما كان يرتادها الزوار من دول الخليج، مثل منطقة "البصرة القديمة" و"حي الطرب" وغيرها من الأماكن الكثيرة، وكذلك الأمر في الديوانية "منطقة الفوار" وفي ديالى "منطقة كنعان" ومناطق أخرى، لذا فقد استردت هذه المناطق مكانتها السابقة وازدهرت فيها التجارة من جديد، ولكن هذه المرة تحت غطاء الزواج المؤقت.
من المعروف أن العراق كان من البلدان النظيفة من ناحية بيوت الدعارة، ورغم أن هذا لا يعني خلوه منها، ولكنها كانت مركزة في المناطق التي اشرنا أليها وسرعان ما اضمحلت، كما أن الأحكام القانونية كانت قاسية على من يطاله القضاء العراقي، وفي الماضي القريب كانت البيوت مركزة في أحياء بعيدة عن المدن، واتسمت بقذارتها وعدم توفير المياه والشروط الصحية فيها.

وقد أختلف الأمر بعد غزو العراق، وفي حديث مع العلامة المغفور له جلال الحنفي، أمام جامع الخلفاء في بغداد، كنا نتسامر عن كتابه "جولة في مباغي بغداد" حيث كان رحمه الله يزور هذه الأماكن للتعرف عن أسباب الظاهرة، وينهى النساء عن هذا الإثم في برنامج أصلاحي ويدلهم على الطريق المستقيم، ويطالب الحكومة بتقديم الرعاية الاجتماعية والصحية للنساء، فسألني أن كنت أمتلك من الكتاب نسخة أضافية حيث فقدها بطريقة الإعارة! فترددت بالإيجاب فابتسم وقال أنها حصتي أو هديتي سمها ما شئت، وبادرته القول "يا شيخ أية فائدة منها الآن، لقد انتشرت المباغي في كل مكان من العراق، وأظنك بحاجة إلى طائرة مروحية وجيش من الورعين للوقوف عليها"؟

عند إنشاء مجلس الحكم سيء الصيت، حاولت الأحزاب الشيعية الطائفية وبالذات حزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وبإيعاز وتوجيه أيراني واضح، شرعنه هذا الزواج وتمريره بالقرار (137) الذي أبطل القانون المدني العراقي، فقد قام أبن إيران المدلل عبد العزيز الحكيم أثناء رئاسته لمجلس الحكم في ديسمبر عام 2003 بإلغاء قانون الأحوال الشخصية بالقرار (137) بالرغم من الصعوبة التي واجهته وهي صعوبة نسائية وليبرالية عربية كردية داخل المجلس وخارجه حتى ألغي قرار الإلغاءٍ بعد تصويت الأكثرية ضده، وعند تسلم الباجةجي السلطة بعده ألغى القرار نهائياً، ويحاول الكاتب رشيد الخيون أنة يبرأ السيد السيستاني من دوره في اللعبة المكشوفة استنادا إلى كلام السيدة رجاء الخزاعي عضو المجلس سيْ الصيت والمنضوية تحت العباءة السيستانية، على اعتبار أن سماحته عندما سئل عن الأمر؟ ذكر "بأنه لا علاقة له به"!

ومن المعروف أن القانون المدني كان ساري المفعول على كافة الطوائف الدينية في العراق دون استثناء ولكن إلغاء القرار كان الغرض منه تحرير الشيعة من أحكامه وإتاحة الزواج المسيار وزواج المتعة، ويبدو أن المندوب السامي بول بريمر أدرك المغزى، وليس حباً بالزواج الدائمي، ولكنه كشف الأصابع التي تقف وراء القرار المذكور، بالإضافة إلى رغبته بالحد من نفوذ التيار الإسلامي والشريعة الإسلامية في الحياة المدنية.

لذلك فقد أوعز بإلغاء القرار، وكان صفعة كبيرة للأحزاب الموالية لإيران التي لم تكتف بالتشجيع والمجاهرة بزواج المتعة وإنما تحاول أن تعطيه الصبغة الرسمية لتفكيك المجتمع العراقي وتحطيم أسسه الأخلاقية، بما يتواءم ومفردات المسلسل الشعوبي ضد العراق الذي تدعمه إيران.

شواهد من العراق الجديد

تضافرت ظاهرة الفساد في العراق بعد غزو العراق من طرفين أولهما من الجارة المسلمة إيران، والثاني من قبل قوات الاحتلال ، فقد أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تقريراً عن انتشار ظاهرة الرقيق الأبيض بين الفتيات العراقيات، وارجع التقرير السبب إلى انهيار القوانين، وأشارت صحيفة "التايم" الأمريكية إلى أن ظاهرة



التجارة الجنسية في أراضي العراق لم تراع السن القانونية للفتاة، فمن بين الضحايا فتيات في سن المراهقة وبعمر (14) سنة.

وفي الوقت الذي ذكرت "جمعية حرية المرأة في العراق" بأن عدد الفتيات اللواتي اختطفن حوالي (2000) فتاة فأن المسئولين الغربيين يؤكدون بأن هذه الأرقام ليست حقيقية، وتفوق ذلك الرقم بكثير، وقد أعترف احد المهربين لصحيفة الشرق الأوسط عن مؤشرات انتشار تجارة الرقيق الأبيض في العراق، مشيراً بهذا الصدد " تجارة التهريب تبدأ من السلاح وتنتهي باللحم الأبيض"ويكشف المهرب أن" تجارة النساء (اللحم الأبيض) والأعضاء البشرية أصبحت رائجة في العراق، وهو يدار من قبل شبكات غاية في التعقيد، ويصعب التقرب منها" ويشير احد أفراد الشرطة العراقية " أن الأمر لم يعد يقتصر على الغجر وبنات الليل وإنما وصل إلى خريجات الجامعات" متخذاً لبوساً جديدة عبر زواج المتعة وزواج المسيار وغيرها.

وفي دراسة قامت بها "المنظمة العراقية للمتابعة والرصد" ذكرت بأن الأمراض الجنسية تشهد ارتفاعا كبيراً في العراق وخاصة في محافظات العراق الجنوبية والوسطى كالبصرة والنجف وكربلاء و واسط والقادسية وميسان وذي قار والمثنى وبابل، وهي التي يقطنها أكثرية شيعية، وأن زواج المتعة والتجارة بالمخدرات وانتشار بيوت الدعارة هي التي تقف وراء هذه الظاهرة، وفي دراسة للجنة "رقابة البيئة الصحية" و"الرقابة الاجتماعية" فأن هذه الزيادة اقترنت بتفشي ظاهرة زواج المتعة لدى أبناء الطائفة الشيعية، بعد أن كان هذا الزواج محظوراً أبان الحكم السابق، وفي أشارة خطيرة حول تفاقم الظاهرة تشير البيانات أن نسبة المصابين بالأمراض الجنسية تبلغ 50% ممن تزوج بطريقة المتعة؟

كما تشير تقديرات الدوائر الصحية في المحافظات ذات الأكثرية الشيعية بأن عدد الإصابات بالأمراض الجنسية ومنها الزهري والايدز، والتي تم تسجيلها بحدود (75000) ألف إصابة سجلت خلال عام واحد، وتؤكد الدراسة أن الأعداد الحقيقية أكبر من هذا بكثير، وان العديد لم يراجعوا بسبب القيود الاجتماعية !!مع العلم أن إعراض الايدز على سبيل المثال قد تظهر خلال ستة أشهر إلى سنتين؟

وتشير أيضاً إلى أن العديد من الإصابات كانت قد رصدت من الوافدين من إيران، وهو الأمر الذي أصبح ملازماً لظاهرة السياحة الدينية وزواج المتعة، وتشير بعض الدراسات إلى أنه منذ غزو العراق تقدر حالات زواج المتعة بمليون حالة، وأن عدد من الرجال والنساء يرتبطون بالعديد في علاقات جنسية يومية تحت غطاء زواج المتعة، وانه بالرغم من وجود شروط مرنة في هذا الزواج لكن حتى هذه لا يلتزم بها المتمتعون.

ومن الغرائب أن تتم الكثير من هذه الزيجات في بيوت الدعارة، والتي تتمتع بحماية الميليشيات الشيعية، وكذلك أجهزة الشرطة والأمن، ويبدو أن الأمر قد أنطلى على العديد من الطالبات البسيطات والفقيرات الحال في الجامعات، حيث يشكو الكثير من الأساتذة والطلاب تنامي هذه الظاهرة في الجامعات العراقية ولاسيما في المناطق الجنوبية والمقدسة وخاصة من قبل الموسرين أو أبناء أصحاب النفوذ في العراق الجديد إضافة إلى عناصر الميليشيا.



وفي آخر تصريح للدكتور حسين عبد الله الجابري مدير معهد الإمراض السارية والمعدية في مدينة النجف المقدسة، أكد بأن معدلات الإصابة بمرض الايدز في مناطق الجنوب العراقي ذات الأغلبية الشيعية في ارتفاع مخيف جداً، مرجعاً السبب في ذلك إلى انتشار ظاهرة زواج المتعة غير المبني على أية ضوابط صحية مع الأخذ بنظر الاعتبار تزايد عدد الزوار القادمين من إيران وباكستان.

ووجه انتقادا لاذعاً للسادة (من آل النبي صلى الله عليه وسلم) كما يدعون الذين يروجون هذا الزواج ويكتبون عقوده بأقلامهم النتنة، مؤكداً أن مدد الزواج قد تكون أسبوع أو ليلة واحدة دون الحاجة إلى اخذ مستمسكات ثبوتية من المتعاقدين، واعتبر الجابري انه من المستحيل رصد حالات المرض وحامليه لمنعهم من نشر العدوى القاتلة إلى الغير.

وقد حاول الجابري عبثاً دعوة الحوزة العمياء والمرجعيات العظمى بإيقاف زواج المتعة خلال فترة قصيرة ليتسنى للدوائر الصحية والتي يشرف عليها التيار الصدري وهنا مكمن الداء ترتيب شروط وضوابط لمثل هذه الزيجات وخاصة الإيرانيين القادمين من خارج الحدود، الذين يدفعون أموالا طائلة للتمتع بالعراقيات ليلة واحدة أو عدة ليالي بحضور احد السادة الذي يعب عليه العد فوق العشرة بدون الاستعانة بحصى أو مسبحة لإكمال الحساب؟ ويشير الجابري بأن عدد الحاملين للفيروس والذين سجلوا لمدة شهر في النجف فقط بلغ (80) مريضاً.

إن المعلومات السابقة الذكر تشير إلى ضلوع إيران كعامل مباشر في استفحال هذه الآفة في العراق، سواء كان عن طريق زوارها المصابين بهذه الأمراض التي ترسلهم إلى العراق، أو عبر الميليشيات التي ترعاها في العراق، أو من خلال المؤسسات الوهمية العاملة في العراق، ومن خلال تسخير المراجع الدينية من الفرس الذين يؤمنون بهذا النوع من الزواج رغم تداعياته الحالية، والمشاكل الناجمة عنه، وكان الأولى بالحكومة العراقية أن تأخذ بنظر الاعتبار انتشار المخدرات والأمراض الجنسية كإحدى أهم مسئولياتها لا أن تجعل الوضع الأمني شماعة تعلق عليها تجاهلها لبقية الظواهر المهددة للكيان العراقي.

إن الموضوع ينبأ عن كارثة كبيرة تحدق بالعراق، وان قيام الدولة بمسؤولياتها تجاه الزوار الإيرانيين وبقية الوافدين إلى العراق، لا يمكن أن تكون بهذه الحالة المزرية واللامبالاة الغبية، وأن طلب الشهادة الصحية من الوافدين أمر مهم وواجب ويتعلق بسلامة العراق وشعبه، كما أنه لا بد من القيام بتوعية صحية وإرشادية للشباب من خلال وسائل الأعلام المختلفة للتنبيه على خطورة هذه الظواهر الغريبة عن المجتمع العراقي، فحتى وقت قريب كان شيعة العراق يرفضون الكلام عن زواج المتعة، وحتى لو كانوا فعلاً مؤمنين به كعقيدة لكنهم كانوا يرفضونه كممارسة، وان الطلب من امرأة عراقية شيعية الزواج بالمتعة كان يعد امتهانا لكرامتها، وغالباً ما كان المروجين لهذا الزواج يخرسون، ويحرجون عندما تسألهم: فيما إذا يوافقون على تزويجك بالمتعة من أحدى أخواتهم أو قريباتهم؟

وأذكر في حديث لي مع أحدى الأخوات العزيزات وهي هاشمية النسب وذات مستوى أكاديمي رفيع للغاية تحدثنا عن هذا الموضوع، فقالت أؤكد لك بأن هذا الأمر



فيه الكثير من اللغط والافتراء على أئمتنا رضوان الله عليهم، وان شيعة العراق ترفض هذا النوع وتعتبره أقصر باب يؤدي الى الزنا، واستدركت لكنه يمارس بطريقة بشعة في طهران لعوامل ليس لها أية صلة بالدين والمذهب.
من النتائج الكارثية التي ترتبت على انتشار هذه الظاهرة ارتفاع معدل التجارة الرقيق الأبيض في العراق وقد اتخذت شكلين هي التجارة الداخلية بين المحافظات نفسها، وتجارة خارجية عبر تصدير البغاء الى دول الجوار التي ستكتوي بناره عاجلا أم آجلا.
فقد كشف تقرير صادر عن الشبكة الاتحادية الإقليمية للإنباء (ايرين) بأن تجارة الرقيق الأبيض من العراق الى الخليج تشهد تزايداً ملحوظاً بع الغزو الأمريكي للعراق. حيث تقوم بعض الميليشيات والعصابات باستغلال حالات الفقر عبر تهريبهن الى دول الخليج تحت غطاء تأمين وظائف عمل لهن، وتشير المنظمة بأن(3500) فتاة عراقية سجلن كمفقودات في العراق ويشتبه في خضوعهن إلى الاستغلال الجنسي.

ويؤكد الناشط الحقوقي طارق الشمري بأن معلومات جمعتها عدد منظمات إنسانية تشير إلى تورط كبار رجال المعممين في إدارة شبكات الدعارة، مضيفاً "لدينا معلومات عن تورط رجال دين في شركات من هذا النوع وخاصة في البصرة والعمارة، حيث يجري تهريب فتيات عراقيات إلى إيران تحت يافطة تلقي العلوم الشرعية في قم وطهران، وهناك يتم بيعهن إلى سماسرة الجنس.
"موضحا بان الأمر لا يقتصر على رجال الدين فحب وإنما هناك هيئات حكومية تشارك في مثل هذه العمليات" أن هناك شبكات من هذا النوع يقودها بعض أعضاء المجالس في المحافظات وخاصة المحافظات الجنوبية، ولا يستطيع أحد من الأهالي أن يفضح دورهم بسبب الخشية من القتل، فأغلب هؤلاء ينتمون إلى أحزاب سياسية ولديهم ميليشيات.
وقد تمت تصفية عدد من الفتيات اللواتي عدن من تلك الدول بعد أن اكتشفن زيف تلك العمليات، ومنها ما أعلن عنه كما حصل في النجف والبصرة ومنها ما بقي طي الكتمان"
إن هذه التصريحات تضعنا في حالة من الشك إزاء من يمكن أن يساهم في إطفاء نار هذه الرذيلة طالما أن المراجع العظمى يستمتعون ويحللونها وطالما إن الحكومة ممثلة بهيئاتها تشارك فيها أيضا ؟ من جهة أخرى إن الأحزاب الحاكمة والتي تحمل مع الأسف الشديد اسم الله سبحانه وتعالى أو الإسلام كحزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الله فرع العراق وحزب الفضيلة وثأر الله وانتقام الله ، الله ينتقم منهم جميعا يدفعون باتجاه ترويج هذه الظاهرة البشعة،يضاف إلى ذلك الميليشيات المسعورة الناثرة للفساد والدعارة وخاصة جيش المهدي يحتضنون أماكن الدعارة ويروجون للبغاء.
ولم يكتف قائد هذا الجيش الهزيل بالمتعة الفريدة فحولها إلى متعة جماعية عبرت فتوته الأخيرة والتي حاول بعض أنصاره إبعاده عنها لكنها كانت تحمل ختمه الشخصي وحتى لو لم يكن ذلك حقيقية وهو ما لم يكذبه هو نفسه بل بعض مرتزقته فهو يعلم علم اليقين أن هذه الظاهرة الشاذة موجودة بين صفوف الجيش الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا؟

فقد سألته إحدى الزينبيات إزهار حسن الفرطوسي نسبة إلى زينب الطاهرة عليها رضوان الله": "نحن جماعة من المؤمنات الزينبيات المناصرات لجيش المهدي، ونود أن نسأل سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد مقتدى الصدر حفظه الله بأن جماعة من جيش الإمام قد وجهوا لنا دعوة لحضور حفلة متعة جماعية في إحدى الحسينيات، وقد قالوا إن أجر المتعة مع الجماعة أكثر سبعين مرة من التمتع منفردا".

وتستطرد الزينبية البلهاء "سألنا أحد السادة وكلاء الشيخ محمد اليعقوبي عن المتعة الجماعية فنفى علمه بأي شيء يتعلق بهذا النوع من المتعة وقال إنها من البدع. فهل يجوز لنا التمتع الجماعي؟ علما بأنه محصور بعدة ساعات فقط (أي أقل من ليلة) وأن الغاية من هذه الحفلة هو سد رغبات جيش الإمام حصرا من الذين لا يستطيعون النكاح لانشغالهم بالمعركة مع النواصب وأن أجر التمتع يعود ريعه لتجهيز جيش الإمام بالسلاح. أجيبونا جزأكم الله خير الجزاء".

أما الإجابة المنسوبة لمقتدى الصدر وتحمل توقيعا وختما باسمه، وتاريخها 23 شوال 1426 فجاء فيها ما يلي: "من المعلوم أن زواج المتعة حلال مبارك في مذهبنا وقد حاول النواصب تشكيكنا فيها ومنعنا منها مخافة أن يتكاثر أبناء مذهبنا ويكثر عددنا ونصبح قوة كبيرة، لذلك فإننا ندعو أبناء المذهب من عدم التحوط بأي شيء يتعلق بزواج المتعة، وإن إقامة حفلات المتعة الجماعية هي من الأمور التي أجازها مراجعنا العظام مع أخذ الحذر من عدم دخول أحد من غير المسلمين أو من أبناء العامة تلك الحفلات لئلا يطلعوا على عورات المؤمنات، ولعل هذا هو السبب في كراهة السيد اليعقوبي لها".

وأضافت الفتوى: "هذا ومن المعلوم أن التمتع مع أحد جنود جيش الإمام أكثر أجرا من غيره، لأنه يبذل دمه من أجل مقدم الإمام، لذلك نرجو من الزينبيات عدم التبخل عليهم بشيء مما منحهن الله من نعمة بأجسادهن وأموالهن، وأننا ندعو الأخت الزينبية إلى مراجعة أحد وكلائنا المعتمدين لأخذ الاذن منه في إقامة تلك الحفلات حتى تكون تحت مراقبة تامة وسيطرة مطلقة من قبل جيش الإمام. وجزأكم الله خير جزاء المحسنين".

لا أرى أن الأمر يحتاج إلى تعليق فالجريمة ظاهرة والقتلة مكشوفين والضحايا موجودين، رغم تحفظنا على الكثير مما تضمنته الفتوى التي لا يصح أن يطلق عليها هذه التسمية، فمقتدى الصدر كما يدعوه البعض (سيد أتاري) لشغفة بلعبة الأتاري الصبيانية لم يصل بعد إلى درجة الإفتاء كي يفتي مثل هذه الفتوى الخرقا.،

من جهة ثانية هناك تعارض بين الفرق الشيعية نفسها حول مشروعية أو عدم مشروعية هذا الزواج المبني على المتعة، فمنها من تحللها كالأثنى عشرية في حين تحرمها معظم الفرق الأخرى، كما أن ما يسمى بالمتعة الجماعية لا تعني أكثر من مفسدة جماعية وهي تذكرنا بنوادي العراة في أوربا وحتى هذه الأخيرة فيها ضوابط أفضل من زواج المتعة سواء كانت بالمفرد أو الجملة.

بغض النظر عن الموقف الديني حيث إن رجال الدين أولى منا بمناقشة الموضوع باستفاضة ومعرفة، وبغض النظر كذلك عن الاتفاقيات الدولية التي تؤكد على احترام المرأة، وبغض النظر عن المسئولين في الحكومة العراقية المستمتعين أو المتسترين على هذه الحالة، وبغض النظر عن موقف العمامات السوداء أو الغمامات السوداء وهم يرون أن المجتمع يسير نحو الرذيلة والفناء ومع هذا فأنهم مصرون على إلباس حالة العري هذه لباس الدين.

وبغض النظر عن القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تمسك بها المجتمع العراق لما يزيد عن (1400) عاما رافضاً هذا النوع من الزواج معتبراً انه والزنا وجهان لعملة واحدة، بغض النظر عن كل هذه الأمور نقول للرجل العراقي قبل المرأة العراقية، هل ترضى بأن تستمتع أمك أو أختك أو أبنتك أو قريبتك حتى مع توفر الشروط التي يدعيها أصحاب العمائم السوداء؟

هل يمكنك أن تتحمل مسئولية ولادة طفل من هذا الزواج وتتولى رعاية شؤونه في ظل غياب الوالد المستمتع بسفر أو موت أو مرض أو غياب تحت أية حجة باعتبارك ولي أمره؟

وهل تقبل أن يكون من صلبك وليد من رحم وطأه الكثير من قبلك؟ وما هو شعورك على سبيل الفرض بأن تكون أنت نفسك وليد متعة ؟ هل ستشعر بالكبرياء والفخر أم الخزي والعار؟ في الوقت الذي تدعون في مصادركم أن الصحابي عبد الله بن الزبير (رض) هو إبن متعة وتعتبرونها مثلمة عليه؟

ولنفترض جدلاً انه ليس بمقدور الأب أو غيره إعالة هذه النطفة الخاطئة فمن يتحمل مسئوليتها الأم المستمتعة أو رجال الدين الذين يروجون لها أو الحكومة العاجزة باعتبار أن الجميع مشترك بهذه الجريمة النكراء؟

وأنت كأب أو أخ أو ولي أمر فتاة ما هل تفضل أن ترتبط ابنتك أو أختك أو قريبتك بزواج دائم ومقدس أم بزواج متعة ؟ وأخيرا وليس آخراً هل أن الغرض من الزواج هو المتعة فقط ؟

ثم نقول للماجدة العراقية لا بد أن تدركي بأنك عنوان أمتك وأخلاقها وكبريائها وفخرها وقيمها، وإنما تزهو الأمم بنسائهن إضافة إلى الرجال، ومعاذ الله أن ترهنني شيم الدين والوطن والعادات والتقاليد بلذة عابرة مع رجل سرعان ما يتركك ليحتضن امرأة أخرى بعد أن أخذ وطره منك ا ليتشارك الأمر نفسه مع العشرات من النساء؟ انك ذات مرتبة كبيرة في الدنيا مجدك الله جل جلالة بها فأنت الأم والأخت والبنت والحبيبة والصديقة وجمعيها عناوين مهمة في الحياة لا يمكن العيش دونها أو أن تستمر الحياة دونها.

انك من اكبر الأسماء في هذه الحياة فأنت الأم و المربية للأجيال كافة أنت الأرض الخصبة فان زرعت فيك بذرة طاهرة طيبة ستثمر نبتة مثلها والعكس صحيح ! أنت عنوان الوطنية تنشئين الأجيال على القيم والتقاليد الموروثة والعادات والتقاليد العريقة، تعلميهم حب الدين والوطن والتضحية مثلك ! مثلك الأعلى خديجة الكبرى و



فاطمة الزهراء ونساء الرسول عليهن أفضل الصلوات وزينب والشيماء أخت الرسول وأسماء بنت ابي بكر الحامل ذات النطاقين ولم يمنعها حملها عن تأدية واجبها تجاه النبي وصاحبه الصديق ونساء آل البيت حرائر النبي العظيم والخنساء والآلاف من الرموز العربية والإسلامية. أنت حفيدة هؤلاء جميعا وحري بك المحافظة على هذه المكرمة التي منحها الله لك فطوبى لك أن فعلت ويا لغضب الله منك أن خالفت.

لست واعضاً و لا مصلحاً وربما لا أصلح لذلك مطلقاً ولكنك أمي وأختي وزوجتي وشقيقتي وقريبتي ويكفي أنت ابنة وطني الأشم فحري أن أخشى عليك من غضب الدين والدنيا، ولكني سأقول لك فكرة خطرت على ذهني المولع بحبك، وهي انه في الوقت الذي جعل الله ثواب المؤمنين الصادقين والمجاهدين الجنة خالدين فيها، فأنه جلّ جلاله.وضع هذه الجنة تحت أقدام الأمهات، تتصوري ليس تحت يديك ولكن تحت أقدامك، لله درك فأية منزلة لكنّ عند الله؟ وأي مكرمة تحظين بها؟

أو ليس الأجدر بك حفظ العهد مع الخالق والابتعاد عن الكبائر، ودرء اللذة الزائلة غير الناجمة عن العلاقة المقدسة التي أمر بها الله عبر الزواج وتكوين الأسرة؟ وأهمس هذه الحقيقية في أذنك بأن المومس تمارس البغاء تحت مبرر الحاجة الى المال، والمتمتعة تمارسه تحت تبرير اللذة، فان كان لدى الأول مبرر فأنه بلا شك اقوي من مبرر الثانية؟ وهذه مقارنة فيها إرشاد للبيب!

أما الحوزة العلمية والمراجع الدينية فنقول لهم عجباً لأمركم فأنكم أما أن تصمتوا صمت القبور بالحوزة الصامتة أو تجاهروا في أفسد الأمور لإشباع رغبات زائلة ما أنزل الله بها من سلطان فأن كنتم تروجون لهذا النوع من الدعارة وانتم قادة الأمة الدينيين فما عسى نقول للمفسدين؟

وعلى سبيل الافتراض وليس الجزم أن زواج المتعة حلال في عقيدتكم وان من نتائجه كما تبين البيانات الدولية والعراقية هذه الآفات وأهمها الايدز ناهيك عن الضياع والفساد أليس من الواجب وقف الحد عنه ولو بشكل مؤقت طالما أنه زواج مؤقت؟ نقولها رحمة بالعراق وطناً وشعباً فأن كان لكم ثأراً فارسيا وصفويا من الإسلام الذي حطم مجوسيتكم قبل مئات القرون فقد أخذتم ما فيه الكفاية وأن كان بلا وجه حق؟

لقد عانى هذا الشعب المسكين، ما عانى ولا أظن أنه يوجد في عقيدتكم ما يسمح بتدمير المجتمع وقتل النفس بهذه الآفات الخطيرة! نناشدكم بمرارة رغم أننا على ثقة بأننا نخاطب مجموعة من الطرشان والخرسان بأن تصحوا من غفوتكم، فالعراق في طريقه للهاوية وانتم أحد اكبر أسبابها! فماذا ستقولون لله عز وجل والتأريخ والأجيال القادمة فيا لبؤسنا بكم ويا لبؤسكم في الآخرة فقد ضيعتم دناياكم ودنيا غيركم وآخرتكم وآخرة غيركم.

ونسأل قادة الأحزاب السياسية الشيعية أهكذا تصان كرامة نساءكم من الطائفة؟ أهكذا يأمر الدين؟ وهل هذا هو العراق الديمقراطي الذي تنون بنائه وأول ركن منه هو هدم نظام الأسرة والمجتمع ونشر الفساد والرذيلة ؟ ونسأل عبد العزيز الحكيم: هل هذا ما قصدته بدعوتك للدول العربية والإسلامية بـ "إتباع النموذج الإيراني في العلاقات مع العراق؟؟ هنيئاً لكم العراق الجديد!

نناشد العالم بأسره والمنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان، وكذلك الدول الإسلامية والمنظمات المنضوية تحت لواء الإسلام وتقديم الخدمات الإنسانية، ونناشد

كل الخيرين من علمائنا من رجال الدين الأفاضل وبشكل خاص العلامة القرضاوي وشيخ الأزهر الشريف والقادة ومنظمة المؤتمر الإسلامي وزعماء ألأحزاب الدينية والسياسية ورجال والأعلام بأن يضموا صوتهم إلى صوتنا في الكشف عن هذا المخطط الإيراني- الأمريكي اللئيم الذي يستهدف تدمير بنية المجتمع العراقي، وبث الخراب والفساد في ربوعه الطاهرة، وليستذكر الجميع أنه لمن المجحف أن يتحول هذا البلد العظيم مهبط الأنبياء والأولياء ومنارة المجد التلبد إلى مرتع للفساد والرذيلة وتجارة المخدرات؟

التشيع يخترق المجتمع الجزائري

بقلم: عبد المالك حداد

موقع الشهاب

تعالت مؤخرا أصوات في عدة دول عربية (الجزائر- المغرب - مصر- السودان - الأردن... الخ)، تنبه إلى انتشار ظاهرة التشيع وتحذر من توسعها. وذكرت عدة صحف ومجلات عربية اهتمت بالموضوع أن الجزائر من بين البلدان التي يشهد فيها "المذهب الشيعي انتشارا بشكل سري في قطاعات واسعة من المجتمع الجزائري (السني بأغلبه)، خاصة خلال السنوات الأخيرة".

ومع ذلك فإن هذه المسألة مازالت غير مطروحة رسميا، إذ لم يصدر أي موقف يشير إلى ذلك وينبه إلى هذا الأمر باستثناء بعض الكتابات المحدودة في وسائل الإعلام - الصحف – إلى جانب تسليط بعض المواقع الإعلامية على شبكة الانترنيت الضوء على هذا الموضوع.. لكن لمحدودية زوارها في الداخل (كون مجال الانترنيت مقتصر على فئات محدودة في المجتمع الجزائري الذي لا تتوفر فيه شبكة الانترنيت إلا على نسبة 2,4 % من السكان المتصلين في وقت لا يتجاوز الذين يستعملون هذه التقنية 800 ألف من السكان، بمعدل 500 ألف مستعمل بصفة منتظمة) لم يُمكن أغلبية المجتمع من الاطلاع عليها، على عكس الصحف المكتوبة التي تعرف انتشارا كبيرا إلا أنها تتحاشى الخوض في الموضوع.

وهناك عدة تفسيرات لهذا الأمر: فثمة من يقول إن حرية المعتقد أمر يكفله دستور البلاد وإن الدولة لا تتدخل في معتقدات الناس والمذاهب التي يعتنقونها.

وهناك من يرجع الأمر إلى "طبيعة الجزائريين" المتسامحة وقدرتهم على التعايش مع بعضهم البعض، بقطع النظر عن المعتقدات والمذاهب.



فيما يرى البعض الآخر أن هذا "الصمت الرسمي" على انتشار التشيع في الجزائر مرده العلاقات التي تحسنت بين الجزائر وإيران. وهي علاقات توطدت خلال السنوات الأخيرة.

عدد شيعة الجزائر وانتشارهم

لا تتوفر أرقام رسمية حول عدد الشيعة في الجزائر، وبحسب مراقبين لا يزال الحضور الشيعي محتشما في الجزائر مقارنتا بذلك الحضور المسجل في بعض البلدان المغاربية كالمغرب الذي يبدو واضحا من خلال وجود ثلاث جمعيات شيعية ثقافية معترف بها على الأقل وهي "الغدير" و"البصائر" و"التواصل".

وإذا كان الحضور الشيعي في الجزائر محتشما، ويمكن ملاحظته في بعض الولايات والمدن مثل الجزائر العاصمة، باتنة، تبسة، خنشلة، تيارت، سيدي بلعباس. غير أن عددا من المواقع الشيعية عبر شبكة الانترنيت، من بينها موقع مركز الأبحاث العقائدية، وهو أكبر المواقع الشيعية، بالإضافة لـ "شبكة شيعة الجزائر" التي ترفع شعار "من المدرسة المصالية إلى المدرسة الخمينية"، تقول عبر تقارير نقلتها - هذه المواقع الإلكترونية - بأن المذهب الشيعي "يزداد انتشارا بشكل سرّي في قطاعات واسعة من المجتمع الجزائري، بعد أن نقله إليهم مدرسون وموظفون قدموا للعمل من العراق وسوريا ولبنان".

ويرى المشرف العام على "شبكة شيعة الجزائر" والذي يسمي نفسه "محمد العامري" (30 عاما) أن الاستبصار - التشيع - في الجزائر "مستمر بحمد الله والاستبصار أكثر من منتشر بل منفجر في كامل أرجاء التراب الجزائري متنقلا عبر كل الطبقات الاجتماعية فسابقا كان يدور بين الشبان والآن ببركة صاحب العصر والزمان (عليه السلام) دخلت بيوت بكاملها في التشيع وسمعت أن أكبر متشيع عمره 69 سنة(..)".

ولا يملك المشرف على شبكة "شيعة الجزائر"، أي إحصائيات أو أرقام على مدى انتشار التشيع بين الجزائريين : "ليس هناك إحصائيات حديثة وحتى إن كانت هناك إحصائيات تبقى سرا ولا تسلم لأيا كان لأسباب يطول شرحها".

غير أن بعض المراقبين يقدرون عدد الشيعة في الجزائر بالمئات، وهم منتشرين في أغلب مدن البلاد، كان عددهم لا يتجاوز العشرات في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، يمارسون شعائرهم وطقوسهم بحرية كإحياء الحسينيات وقيام المآتم مع بداية كل محرم إلى العاشر منه، دون أن يتعرضوا إلى أي نوع من المضايقات.

ويرى الدكتور محمد بن بريكة، المنسق الأعلى للطريقة القادرية في الجزائر وعموم إفريقيا، في محاضرته "حصاد الثقافية" عن "نشأة الشيعة والتشيّع"'، أن غياب المرجعية الدينية وضعف المناعة الثقافية في الجزائر سيسهل اجتياح المد الشيعي وتناميه في الجزائر السنية "لأن الشيعة في الجزائر موجودون وهم حوالي 300".

فيما يؤكد الباحث الجزائري فريد مسعودي أن انتشار المذهب الشيعي في الجزائر يعد ذاتي بالدرجة الأولى لأن وسائل الدعاية المتبعة تعتمد على الانتشار



السري، بسبب عوائق موضوعية تتعلق بمدى قابلية المحيط لهذا النوع من الفكر، بمعنى أنه قد لا يتطور إلى درجة الظاهرة الاجتماعية.

هذا ويرى المراقبين أن التشيع يتوسع وينتشر بفضل الدعاة النشطين الذين يتواجد أغلبهم بالمؤسسات التربوية، وتوفر المراجع الشيعية المتداولة كالمجلات والنشريات والكتب أبرزها : مرآة الأنوار، مشكاة الأسرار، تفسير العسكري، مجمع البيان، تفسير الكاشي، تفسير العلوي، تفسير السعادة للخرساني، ومجمع البيان وغيرها من المراجع الأخرى التي كانت متداولة ببعض المساجد وبين عامة المصلين والطلبة لعدم معرفة حقيقتها وخطرها على الكثير من القراء.

كما كان لوجود جاليات شيعية من العراق وسوريا ولبنان في الجزائر دور في انتشار المذهب بين أهل البلاد حسب ما أشار إليه العامري : "اخوتنا العراقيون والسوريون واللبنانيون عندما كانوا في الجزائر كأساتذة ومدرسين لعبوا دورا في الدعوة وكانوا من الممهدين لقبول فكرة الولاء لمحمد وآله صلوات الله عليهم، وعندما اندلعت الثورة الإسلامية الإيرانية المباركة وجد خط الإمام الخميني (قدس الله سره) أرضية خصبة لنشاطه في أرض الثورة والرفض" !.

ويرى شيعة الجزائر أن مذهب "آل البيت" ليس غريبا عن البلاد وأن جذوره تعود إلى "آلاف السنين". بدليل أن الأمازيغ (البربر سكان الجزائر الأوائل) بالأصل كانوا شيعة، فبالنسبة لهم كان للبربر في الجزائر "ولاء عظيم لأهل البيت ولهم فيها ثورات، وبالخصوص في زمن استشهاد الإمام الحسين، وكانوا من الأوائل الذين فتحوا بيوتهم وصدورهم للفاطميين وحاربوا معهم جنبا لجنب.."

وتذكر "الجيرواس" وهي فتاة جزائرية من أصل بربري، أحد أعضاء شبكة شيعة الجزائر، عدة أمثلة للتأكيد على أمازيغ كانوا يعتنقون المذهب الشيعي، وذلك على حسب قولها:

- بعض مناطق الأمازيغ لا يأكلون لحم الأرنب وهم لا يعلمون لماذا ؟! ومعلوم أن اللحم محرم عندنا نحن الشيعة.
- في عاشوراء يتوقف الأمازيغ عن العمل ويقولون إن العمل في مثل هذا اليوم يجلب النحس وأن ما اكتسبته خلال ذلك اليوم لا بركة فيه.
- يذبحون في عاشوراء دجاجا أو طيرا، فالمهم هو إسالة الدم في ذلك اليوم معتبرين أن هذا أمر مباركا دون أن يعلموا أن هذه الدماء رمز للتذكرة بدماء الحسين عليه السلام وأصحابه الذين استشهدوا في كربلاء.
- عند الأمازيغ لا تجد أحدا اسمه أبو بكر أو عمر أو عائشة الخ.. لكنّك كثيرا ما تجد اسم سيد علي، وسيد احمد وكلمة سيد لا تجدها في أسماء أخرى عدا اسم علي واسم احمد الذي هو في حد ذاته محمد.

- إذا ذكر الأمازيغ اسم فاطمة سلام قالوا "للا فاطمة" أي السيدة فاطمة، وإذا ذكروا عائشة لم يدرجو لقب (للا).

كما كان للمذهب الشيعي تواجد كبير في الجزائر خلال مرحلة الدولة الرستمية (776-908 م) التي أسسها الإباضيين وجعلوا من تيهرت (تيارت حاليا) عاصمة لهم ومهدا لثقافتهم وفكرهم في الشمال الإفريقي حتى قام الداعية الشيعي أبو عبيد الله الشيعي صاحب الفاطميين بالقضاء على دولتهم عام 908 م. وتحول الإباضيين نحو الجنوب الجزائري، واستقروا في منطقة وادي ميزاب (غرداية).

وكانت هناك دويلة أخرى قامت في الجنوب الغربي للجزائر وجنوب المغرب إلى جانب الدولة الرستيمة، سميت دولة سجلماسة (أو الدولة المدارية) (758 - 909 م) وهي دولة كالرستمية أسسها شيعة لكنهم على المذهب الصفري، وقد قضى الفاطميون عليها كذلك.

ومع قيام الدولة الفاطمية (910 – 973 م)، انتشر التشيع بالطريقة الفاطمية التي كانت إسماعيلية باطنية في الجزائر وسائر مناطق المغرب العربي.

إلا أن الشيعة انقرضت بعد عهد الفاطميين ولم يعد لها أثر، ولم يأتي ذكرها إلا أن ظهر التشيع الحديث مع ظهور الخميني بعد انتصار "الثورة الإسلامية في إيران" بالطريقة المنشرة بإيران لمذهب الإمامية لأثنى عشرية الجعفرية نهاية السبعينيات..

علاقتهم بالشأن الوطني

لا يعرف للشيعة في الجزائر أي نشاط علني يمكن من خلاله تتبع مواقفهم وآرائهم في الشأن الوطني، وهو ما يجعل البحث في هذه المسألة تعترضه عدة عراقيل، كون لا يوجد لهم أية صحيفة ناطقة باسمهم، كما لا يوجد أي مسجد أو حسينية، ولكن ظهر لهم حديثا عدة مواقع إلكتروني في الشبكة العالمية جعلوا منها منبرا لهم، للحديث عن تواجدهم والتعبير عن آرائهم دون التدخل في شؤون الدولة بحكم أن لديهم – حسب زعمهم - مهمة أسمى من ذلك بكثير، ألا وهي تقديم النصيحة وكشف الحقيقة..

ويرى "محمد العامري" المشرف العام على "شبكة شيعة الجزائر" أنه:
"والحمد لله لا نعاني من أيّ مشاكل مع النظام حاليا وكما أن الشيعة لم يعتدوا على أيّ مادة من الدستور أو رمز من رموز الدولة، وإن كانت هناك بعض التحفظات عبر تصرفات بعض من يعتبرون أنفسهم فوق القانون، فهم بالنسبة لنا لا يمثلون شيئا بل هم يزيدون من انتشار التشيّع دون أن يشعروا بذلك لأن المظلوم منتصر عاجلا أو آجلا".

ويبرز العامري أنه لا يوجد أي عائق يعترض التشيع في الجزائر، ويفسر ذلك بعدم وجود أيّ "ممانعة من حيث المبدأ من قبل السلطات الجزائرية لانتشار التشيع"، مشيرا إلى أن المادة 61 من الدستور الجزائري تنصّ على "الحرية الفردية لكافة الشعب في اختيار معتقداتهم التي يختارونها"(..).

وقال العامري أن معانات الشيعة في الآن مقتصرة مع المنظومة التربوية الجزائرية"(..)، وذلك نتيجة "تمرّدهم على البرامج المسطرة لهم أو المفروضة عليهم من طرف وزارة التربية والتعليم"!.

هذا وبين القرار الأخير لوزير التربية الوطنية أبو بكر بن بوزيد، توقيف 11 مدرّسا شيعيا من المدارس التعليمية التي كانوا يشتغلون فيها، مدى اختراق الشيعة

المدارس الجزائرية، وتفسيرا لمدى تدمر المدعو العامري من المنظومة التي تشرف عليها الوزارة.

إلا أن الذي تنساه العامري أن الوزارة قامت بتحويل المبعدين إلى "أجهزة أو مناصب إدارية"، وكان الهدف من إبعادهم تأمين وحماية الوسط المدرسي وتجنب التأثير الشيعي المباشر على التلاميذ بالمؤسسات التربوية، وكذلك إبعاد المدرسة الجزائرية عن الولاءات والصراعات، سواء بين الأحزاب السياسية أو بين المذاهب الدينية. وجاء قرار وزارة التربية الوطنية، بعد أن ناشد مجموعة من الأولياء بمدينة الشريعة (ولاية تبسة) الجهات المعنية للتحرك بقوة لوضع حد من خطر المد الشيعي ببعض المؤسسات التربوية، أين يعمد بعض الأساتذة كما جاء في رسالة موقعة من قبل بعض الأولياء، لتمرير معتقدات وتوجهات شيعية والمعتمدة أساسا على تقديس آل البيت والطعن في بعض الصحابة وشتم بعضهم.

وغير بعيد عن مدينة الشريعة أرسلت مديرية التربية مؤخرا لجنة تحقيق لإحدى المتوسطات ببئر مقدم على إثر شكوى من مدير المتوسطة مفادها أن أستاذا قام أثناء إحدى الحصص بسب وشتم أحد الصحابة الكرام أمام مسمع التلاميذ الذين أبلغوا أولياءهم بالحادثة، حيث تحرك الأولياء بقوة وأخذت القضية أبعادا وتداعيات كبرى، كانت محل متابعة حتى من قبل المسؤولين بالمنطقة.

وعلى الرغم من محاولات عدة أطراف طي الملف وتطويق المشكلة من خلال مطالبة بعض الجهات المسؤولة من الأستاذ الذي شتم الصحابة، تقديم اعتذار أمام الأولياء والتلاميذ، إلا أن البعض مازال يبدي تخوفا من أن تكون هذه السلوكات بداية لإحياء دعوة شيعية، خاصة وأن هناك معلومات تؤكد أن منطقة بئر مقدم والشريعة وتبسة يوجد بها عناصر من اتباع المذهب الشيعي، البعض منهم لا يتورع في الجهر بذلك والبعض الآخر مازال يستعمل كما يعرف عند الشيعة "التقية" درءا لأي مشكلة قد تلحق به.

كيف تشيعوا؟

تكشف كتابات بعض الشيعة في الجزائر على شبكة الانترنيت، الظروف التي انتقلوا فيها من المذهب السني (المالكي) إلى المذهب الشيعي الجعفري.

ويظهر جليا أن تحول الجزائريين إلى المذهب الشيعي ناتج عن علاقاتهم بأقربائهم وأصدقائهم، أو باحتكاكهم بالشيعة المقيمين بالبلاد أو بالسفر، كما أن للمراجع والكتب الشيعة أثر في قبولهم فكرة التشيع نتيجة الخواء الروحي وفقر الخطاب الذي أتبع العشرية الدموية، نهيك على انتشار الفضائيات الشيعية..

كما أن العديد الشباب تأثروا بنضال "حزب الله" اللبناني مما جعلوهم يغيرون المذهب بقصد الانخراط في صفوفه أو المشاركة في نضاله المسلح ضد الكيان الصهيوني..

ومن أسباب التشيع أيضا عند بعض الجزائريين كما يذكر الباحث فريد مسعودي، هو زواج المتعة حيث اكتشف من خلال جلسته مع الشباب الشيعي الجزائري أنه "مدمن" على زواج المتعة.



واللافت للانتباه أن أغلب هؤلاء بعد "استبصارهم" واعتناقهم مذهب آل البيت أصبحوا ينظرون نظرة "دونية" للمذهب السني لا تخلو من "السخرية " وعدم "الاحترام".

العلاقات مع إيران

بعض الأصوات التي ارتفعت في عدد من البلدان العربية تحذر من التوسع الشيعي، لم تخف أن وراء هذه الظاهرة يقف "مخطط الإيراني للنفوذ والهيمنة" وأنها تعكس "تسلل وخطورة المشروع الإيراني في المنطقة".

لكن أيضا هناك من قلل من أهمية الدور الإيراني معتبرا أن "هذه الانتقادات، مبالغ فيها وأن العالم الإسلامي يحتاج إلى التفاهم والتجانس، وأن آخر ما يحتاجه هو هذه الاتهامات المتبادلة".

وفي الجزائر يرفض الشيخ عبد الرحمان شيبان، رئيس جمعية علماء المسلمين في الجزائر، والذي يعتبر واحدا من أبرز الشخصيات الإسلامية المنافحة عن "عروبة وإسلام الجزائر" في تصريحات خاصة لـ "قدس برس": "أن تكون هنالك حملة تشيع واضحة للعيان في الجزائر، وقال: "في الجزائر توجد تيارات ومدارس فكرية مختلفة، سلفيون وعلمانيون وتنصيريون وغيرهم لكن الغالبة سنية مالكية".

وانتقد الشيخ شيبان بشدة، كل من يحاول تعميق الخلاف بين الشيعة والسنة، وقال: "هذه لعنات لن يغفرها الله سبحانه وتعالى لأحد، نعالج الخلافات بروح تقريبية، ذلك أن المسلمين مهزومون ومهانون لأنهم مختلفون لأن عقائدهم مختلفة". وأكد شيبان أن "القوة تأتي بالعزة، والعزة تأتي بالوحدة". ودعا إلى التركيز على الثوابت التي يلتقي حولها الجميع، من خلال إعادة الاعتبار للعلماء، وقال "أدعو أن تكون للعلماء كلمة، وأدعو الحكام إلى عدم تهميش العلماء".

وكان وزير الشؤون الدينية والأوقاف أبو عبد الله غلام الله، قد نفى وجود "خطر شيعي" في الجزائر، ودعا لتفادي ما أسماه «التهويل الإعلامي» كون الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تعاطف مع "حزب الله" أو "إيران".

غير أن هناك من يشير إلى دور إيراني في دعم شيعة الجزائر وهو دعم معنوي بالأساس ويتمثل في توفير المراجع والكتب الشيعية وتمكين الراغبين في مواصلة دراستهم في الحوزات العلمية...الخ

ويقدمون في هذا الصدد عدة دلائل منها العثور على كتب شيعية لدى بعض الطلبة في الثانويات والجامعات، بالإضافة إلى وجود عدد من الجزائريين الذين يدرسون بالحوزات العلمية في قم (إيران) وسورية ومنهم من رجع خلال المدة الأخيرة إلى الجزائر.

بل الأمر تجاوز هذه المرحلة، فقد كشف عبد الرحمن سعيدي، البرلماني عن «حركة مجتمع السلم» ونائب رئيسها، لـ«الشرق الأوسط» عن وجود تنظيم حديث النشأة يدعى حزب الله المغاربي يقوده شيعي مغربي مقيم في ألمانيا.

وقال إن "جماعة فكرية خارج الجزائر، تتحرك لإرساء قواعد حزب مغاربي بمنطقة المغرب العربي"، مشيراً إلى "شخص يقيم بشرق الجزائر متزوج من لبنانية، وله نفوذ في الأوساط الشيعية خارج الجزائر ويدعي أنه من كبار الشيعة في المنطقة

المغاربية". وأضاف أن لديه معلومات مؤكدة تفيد بأنه "يتم التحضير في بلاد غربية وفي بلاد الشام لمشروع حزب الله المغاربي".

وعن توسع المد الشيعي أكد الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي على هامش أعمال مؤتمر القدس الخامس المنعقد في الجزائر أن هذه الأخيرة من بلاد السنة المستهدفة إلى جانب المغرب، ليبيا، السودان، مصر.. محذّرا أئمة الشيعة من التيسير لمذهبهم في قواعد السنة، لأنه كما قال: "إذا كان عكس ذلك "لن أسكت وسأنتصر لسنة رسول الله وسنين الحقائق"، لكن ذلك سيكون "احتكاكا بين أهل المذاهب الإسلامية" لا يريد الشيخ الوصول إليه، فالهدف جمع كلمة الأمة "إذا أردنا أن نجمع ولا نفرّق، نبني ولا نهدّم، فلا يعتدي أهل مذهب على قواعد المذهب الآخر".

وكان موقفه خلال حرب لبنان الصائفة الماضية واضحا، إذ قال: "وقفت مع نصر الله في الحرب على لبنان وناصرته، ورديت الفتوى السعودية التي تقول بأنهم شيعة وحربهم باطلة، لكنني وقفت ضد التشيع بعد الحرب، عندما وجدت أنهم يريدون استغلال الموقف". وقد وجهه سماحته نداء "الجزائر بلد مالكي، اتركوا أهل السنة لمذاهبهم".

فيما ذهب الدكتور محمد بن بريكة، المنسق الأعلى للطريقة القادرية في الجزائر وعموم إفريقيا، إلى المطالبة من السلطات الجزائرية بالتعجيل في استحداث منصب ''مفتي الجمهورية'' لدعم جهاز المناعة الثقافي الضعيف أصلا، الذي يسهل حسبه اجتياح المد الشيعي وتناميه، قبل أن يحذر من أن ''التشيّع هو الفتنة القادمة بعد التطرف الوهابي وفتنة اللامذهبية''. واعتبر ذات المتحدث خطر التشيّع قائما في ظل السكوت العام على هذه الظاهرة التي تهدد الجزائر أمنيا بالدرجة الأولى، وحث وسائل الإعلام على متابعة الظاهرة. مذكرا الأحزاب ''الغارقة في حمى الانتخابات'' بالواجب الواقع عليهم.

للعلم الحكومة الجزائرية أقدمت في مارس 1993، على قطع علاقاتها الديبلوماسية مع إيران على خلفية "دعم إيران السياسي والإعلامي للجبهة الإسلامية للإنقاذ"، واتهام طهران بالتدخل في الشؤون الداخلية الجزائرية. كما تراجعت الجزائر عن رعاية المصالح الإيرانية في أميركا.

وقد أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين رسميا في سبتمبر 2000. وتم تبادل السفراء في أكتوبر2001. زار الرئيس بوتفليقة إيران في أكتوبر 2003 كما زار الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي الجزائر في أكتوبر2004 وكان بذلك أول رئيس إيراني يزور الجزائر منذ الثورة سنة 1979. وقد أعلنت إيران عن دعمها سياسة بوتفليقة الساعية إلى المصالحة الوطنية.

ملاحظات لابد منها

إن الحديث عن الشيعة في الجزائر لا يجب أن يدفع إلى الاعتقاد أنهم يشكلون "طائفة" بما يفتح الأبواب أمام الحديث عن "الطائفية" في الجزائر. هذه المسألة غير مطروحة بالمرة في الجزائر التي عرفت بوحدة أبنائها ونبذهم لكافة مظاهر التفرقة على أساس عرقي أو ديني أو مذهبي أو قبلي أو جهوي. هذا وللعلم أنه إذا ثبت أنه يوجد عدد كبير من الشيعة في الجزائر، فمثلهم مثل أقليات أخرى منها كالجالية



المسيحية كلها تمارس طقوسها وشعائرها بحرية دون أن يشكلوا أي تهديد للنسيج الاجتماعي.

توظيف أتباع ابن عربي في الحرب علي أتباع بن لادن

بقلم: منتصر حمادة

لا يستقيم الحديث عن الحسابات الخارجية في توظيف ورقة التصوف بالدول العربية والإسلامية، في حربها المفتوحة ضد الحركات الإسلامية دون الإحالة علي بعض ثنايا تقرير معهد راند الشهير والصادر تحت عنوان: مشروع الإسلام المدني الديمقراطي.

ومعهد راند معهد أكاديمي أمريكي، تأسس عام 1946 كمركز تطوير للمشاريع والبحوث (العلمية والسياسية والعسكرية) التابعة للقوات الجوية في وزارة الدفاع الامريكية، يوجد مقره في سانتا مونيكا (ولاية كاليفورنيا) متخصص في ملفات الشؤون الدولية والأمن القومي والسلامة العامة والإرهاب والأمن الداخلي، ولديه عدة فروع في أنحاء العالم، وتحديدا في هولندا والمانيا وبريطانيا وقطر.

يُعتبر المعهد برأي المتتبعين بمثابة مؤسسة استخباراتية مستقلة تعمل بصورة مدنية كخط خلفي للقيادات السياسية والعسكرية الأمريكية في الداخل والخارج تقوم بتوفير كافة المعلومات وتجري الأبحاث والدراسات الاستراتيجية والعسكرية اللازمة لعمليات صنع القرار الأمريكي أو المحافظة عليه في الحاضر أو المستقبل.

علي أن الخطوط العريضة للتقرير إياه سبقتها دراسات وأبحاث أكاديمية لرموز الاستشراق الأمريكي المعاصر ودهاقنة مؤسسات خزانات الأفكار التي تسطر الخطوط العريضة للسياسة الأمريكية الرسمية.

فهذا برنارد لويس، يصرح بأن الصراع الحالي هو صراع بين الحضارات، ورد فعل غير منطقي لمنافس قديم وتاريخي ضد تراثنا (اليهودي ـ النصراني)، وحاضرنا العلماني ، وهذا نفسه ما قاله صامويل هنتنغتون عن الحدود الدموية للصراع بين الإسلام والغرب.

أما دانيال بايبس، فيري بأن الأصوليين الإسلاميين يتحدون الغرب بقوة وعمق أكبر مما فعل ويفعل الشيوعيون، فهؤلاء يخالفون سياساتنا ولكن لا يخالفون نظرتنا إلي العالم كله؛ بما في ذلك طريقة اللبس والعبادة .

وأخيرا، نستشهد بالذي صدر عن فرانسيس فوكوياما، والذي أكد في مقال صدر بمجلة نيوزويك (عدد 25/12/2001)، أن الصراع الحالي ليس معركة ضد الإرهاب، ولا



ضد الإسلام بوصفه دينا وحضارة، ولكنه صراع ضد الفاشية الإسلامية؛ أي العقيدة الأصولية غير المتسامحة، والتي تقف ضد الحداثة.

.. مضيفا أن التحدي الذي يواجه أمريكا هو أكثر من مجرد مجموعة صغيرة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذي يسبح فيه الإرهابيون يشكل تحديا إيديولوجيا أكثر من الخطر الشيوعي .. إن الصراع الأساسي ليس مع الإرهابيين فقط، ولكن مع الأصوليين الإسلاميين الذين يقدرهم دانيال بايبس بحوالي 15% إلي 10% من العالم الإسلامي، والذين يؤيدون أسامة بن لادن .

يرى التقرير الصادر في شباط (فبراير) 2004 أنه يجب النظر إلي المسلمين عبر أربع فئات، وهي: مسلمون أصوليون، مسلمون تقليديون، مسلمون حداثيون، مسلمون علمانيون. وفيما يتعلق بالأصوليين، يدعو التقرير صراحة إلي محاربتهم واستئصالهم والقضاء عليهم وأفضلهم هو ميّتهم؛ لأنهم يعادون الديمقراطية والغرب ويتمسكون بما يسمي الجهاد وبالتفسير الدقيق للقرآن، وأنهم يريدون أن يعيدوا الخلافة الإسلامية، ويجب الحذر منهم؛ لأنهم لا يعارضون استخدام الوسائل الحديثة والعلم في تحقيق أهدافهم وهم قويو الحجة والمجادلة.

يجمع التقرير وتقارير أخري علي أن السلفيين والوهابيين يعتبرون من ألد أعداء الصوفية. وهم يعتبرونها فسادا شاذا للإسلام، ويرجع رفض التصوف من الإسلاميين المتطرفين من السنة إلي كتابات ابن تيمية في القرن الثالث عشر، والتي ردد صداها الشُّرّاح الجُدُد للإسلام المتطرف، مستشهدا بالذي صدر عن مؤسسة الحرمين في العربية السعودية من أعمال تندرج ضمن شيطنة التصوف، وتتهمهم إجمالا بأنهم يتمسكون بوجهة النظر التي تقول بأن كل الديانات صالحة، وتنشر وجهات نظر تدعو للسلام ، وأنهم ـ الصوفيون جعلوا المسلمين يعتقدون أن العمل والأسرة هما أعظم مجالين للجهاد، أكثر من إقامة شرع الله علي الأرض باستخدام السلاح .. وبسبب اضطهاد السلفيين والوهابيين للصوفية والتقليديين فقد تحولوا إلي حلفاء طبيعيين للغرب في المعركة ضد المتطرفين وضد الراديكالية الإسلامية، والمقصود بها ما يسمي السلفية الوهابية . أما عن آليات تفعيل هذه السياسات، أو ما وصفته هذه التقارير بـ التحدي الأمريكي للظروف التي تهدد مصالحها واستغلال الفرص في العالم الإسلامي بالتعاون مع أصدقائها ، فيتم عبر دعم التقليديين ضد الأصوليين والإقرار بضرورة نشر وترويج النقد التقليدي للعنف والتشدد الأصولي، وتغذية نقاط الاختلاف بين التقليديين والأصوليين، ودحض أي فرصة للتقارب أو التحالف بين التقليديين والأصوليين، وتعزيز التواجد الحداثي في المؤسسات التقليدية، وتأسيس شبكات إسلامية معتدلة مضادة للدعوات المتطرفة، وتدمير الشبكات المتطرفة وإصلاح المدارس الدينية والمساجد، ودعم الإسلام المدني، وتجفيف منابع المتطرفين وإشغال الإسلاميين بالسياسة العامة، وأخيرا، ضرورة تأييد الاتجاه الصوفي، ونشره، والدعوة إليه. وفي هذه الجزئية بالذات، يعتبر المغرب حسب البعض تلميذا نجيبا ومخلصا .



لم يكتب لهذه التقارير والأبحاث لأن تركن في أرشيف المكتبات الأمريكية ويطويها النسيان، وإنما اطلع المتتبعون علي العديد من التطبيقات العملية للتوصيات الواردة فيها.

فليس صدفة أن يتفق كل من توماس رايلي السفير الأمريكي في المغرب ونظيره في مصر فرانسيس ريتشارد دوني، علي التقرب من رموز الطرق الصوفية التي تسلط عليها أضواء الإعلام الرسمي أكثر من غيرها.

فهذا فرانسيس ريتشارد دوني، يشارك أهالي مدينة طنطا احتفالاتهم بمولد السيد البدوي، اتباعا لعادة استنها منذ وصوله إلي مصر، بل إنه حرص علي لقاء شيخ مشايخ الطرق الصوفية الشيخ حسن الشناوي في أحد سرادقات الطرق الصوفية، قبل أن يذهب برفقة محافظ الغربية اللواء مهندس الشافعي الدكروري، مترجلا وسط الجموع، إلي سرادق مشيخة عموم السادة الجازولية الحسينية، حيث حضر إحدي حلقات الذكر ليشارك الحضور أذكارهم علي نغمات الدف ومع التهليل وهو جالس علي الأرض. ولاحظ المراقبون إصرار السفير علي حضور معظم احتفالات المولد.

أما توماس رايلي، فقد حضر رفقة عقيلته، يوم 14 نيسان (أبريل) 2006 عيد المولد النبوي الشريف الذي أحيته الطريقة القادرية البودشيشية، وبشهادة جريدة الصحراء المغربية المقربة من الدوائر الرسمية، فإن الطريقة القادرية البودشيشية عرفت انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة بين الأطر العليا للدولة وكذا في الأوساط الراقية إذ ينظر إليها بعين الرضي من طرف السلطات التي تشجعها لتكون حاجزا دون وصول التيارات الإسلامية الراديكالية إلي دوائر البورجوازية الراقية.

واعتبر المستشرق الفرنسي المسلم إريك جيوفروي (المختص في الصوفية بجامعة لوكسمبورغ، شمال فرنسا) أن المستقبل في العالم الإسلامي سيكون حتما للتيار الصوفي. وقد استشهد الرجل بمجموعة من المعطيات الميدانية التي تزكي طرحه، ومنها أن الأنظمة العربية عملت علي إدماج الصوفية في الحكم بهدف محاربة الظاهرة الإسلامية، فوزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب أحمد التوفيق صوفي، كما أن الشيخ أحمد الطيب في مصر، صوفي أيضا، وأصبح رئيس جامعة الأزهر بعد أن كان مفتيا للديار المصرية، وفي الجزائر وفي الحملة الانتخابية الأخيرة للفوز بمنصب الرئاسة، كان الرئيس عبد العزيز بوتفليقة مقربا بشكل ملفت من التيار الصوفي ، ليخلص في العديد من مداخلاته، إلي أن الحركة الصوفية يمكن أن تكون بديلا للعمل السياسي الإسلامي في العالم الإسلامي.

وبين مبادرات السفراء الأمريكيين، وثنايا التقارير الأكاديمية سالفة الذكر، والتعيينات الوزارية في العديد من الدول العربية والإسلامية، يتبين أن ورقة التصوف تخدم مصالح أكثر من طرف، علي حساب أطراف أخري يجمع بينها الانتماء إلي الحركات الإسلامية، سياسية كانت أو جهادية.

نحو تصويف المجتمع المغربي

مهم جدا التوقف عند أمثلة تُؤكد إصرار صناع القرار السياسي بالمغرب علي الاحتضان الرسمي والعلني الذي أصبحت تحظي به الطرق الصوفية عموما، وخاصة منها الطريقة القادرية البودشيشية.



ـ في ثنايا المسابقة الوطنية التي نظمتها القناة المغربية الثانية والمخصصة لمرتلي القرآن الكريم، تميزت جميع حلقات المسابقة بتعريف أحد الإعلاميين الصوفيين بمشاهير التصوف المغربي وبأدبيات التصوف عموما. (نظمت المسابقة عبر ثلاث حلقات في غضون شهر تشرين الأول (أكتوبر) 2006، الموافق لشهر رمضان 1427 هـ)

ـ احتضنت مراكش يوم 19 كانون الأول (ديسمبر) 2006 ندوة علمية حول البعد الإنساني في الطقوس البوذية ، وأشرفت عليها جمعية مدنية للتنمية البشرية قريبة من مندوبية الشؤون الإسلامية بمراكش.

ـ احتضنت نفس المدينة يوم الجمعة 10 أيلول (سبتمبر) 2004 اللقاء الأول من لقاءات سيدي شيكر العالمية للمنتسبين إلي التصوف ، وقد تَمَيَّزَ اللقاء برسالة ملكية وجهها العاهل المغربي الملك محمد السادس للمشاركين، نقتبس منها المقطع التالي: لقد استوعب أبناء هذا البلد الطيب، منذ اعتناقهم للإسلام أن جوهر الدين هو تزكية النفس وتطهيرها من الأنانية والحقد والتعصب، وتحليها بمكارم الأخلاق، والتسامي عن الشهوات المذلة للقلب والروح والعقل، بضبط النفس ومراقبة سلوكها اليومي، ابتغاء للاكتمال الروحي المصطلح عليه بالتصوف .

ـ وأخيرا، أقيم مساء الاثنين 15 كانون الثاني (يناير) 2007 بالعاصمة السنغالية دكار، بناء علي تعليمات العاهل المغربي، حفل ديني كبير ترحما علي روح الخليفة العام السابق للأسرة العمرية، الشيخ تييرنو مونتاغا أحمدو تال، الذي توفي الجمعة 12 كانون الثاني (يناير) 2007 بدكار، عن سن تناهز 96 سنة، وكان لافتا حديث الناطق باسم الأسرة العمرية، حبيبو تال عن امتنانه للملك، وعلي عنايته السامية المتواصلة للتيجانيين ومريدي الطرق الأخري بالسنغال.

ما لا يختلف عليه اثنان من المتتبعين للشأن الإسلامي بالمغرب، أن هذا الأخير يُلَقَّبُ بـ أرض الأولياء دون سواه (مقابل الحديث عن المشرق كأرض الأنبياء)، من فرط الحضور القوي والملفت لرموز صوفية رَسَّخَت أسماءها في المشهد الصوفي العربي والإسلامي والعالمي، مما يسحب البساط عن التضخيم الذي يُرَوَّجُ له بخصوص الاستغلال الأمريكي لورقة التصوف في الحالة المغربية، لأننا لا نتحدث عن زرع حقل صوفي كُرهاً، أو استيراده من الخارج، ما دام المغرب (علي غرار مصر وتركيا) يضم حقلا إسلاميا مُصَدِّرا للتصوف وليس مُستَورِداً له، وكل ما يخص التدخل الأمريكي لا يخرج عن باب تقاطع المصالح بين واشنطن والرباط، وليس مرتبطا قسرا بضغوط/أوامر أمريكية تروم استغلال ورقة التصوف.

وإجمالا، هناك إجماع من طرف المتتبعين علي أن التصوف في المغرب كان دوما أحد أهم مُقَوِّمَات تاريخ المغرب المجتمعي الدينية والروحية والثقافية والاجتماعية وحتي الاقتصادية والسياسية ، وهناك إجماع كذلك علي سياسة الدولة في الشأن الصوفي تبرر ما وصفه أحد الباحثين بمحاولات تصويف المجتمع و إخراج الفكر الصوفي من قوقعته إلي التواصل المباشر مع محيطه ومحاولة إدخاله في سيرورة تأطير المجتمع طالما أنه قام بذلك لمدة طويلة وبالتالي فهو الأكثر خبرة في هذا المضمار ويتوفر علي آليات وقنوات تلائم المجتمع وتركيبته وتنسجم مع هويته .



القصد أنه لم يكن لورقة توظيف التصوف في إعادة الحقل الديني أن تثير العديد من ردود الفعل المتباينة لولا تضافر مجموعة من المعطيات المحلية والخارجية ـ يصفها البعض بأنها موضوعية ـ تدفع بالعديد من المراقبين بأن يمرروا وجهات نظر تقويمية تصب في التحذير من حسابات السلطة في الرهان علي ورقة التصوف.

وإذا كانت التصريحات الرسمية للناطقين الرسميين باسم الزوايا تترفع عن الخوض في الخلافات التي يثيرها إدماج رموز زاوية معينة دون سواها في دواليب الوزارة الوصية علي الشأن الديني، فإن الأمور تختلف تماما في كواليس الزوايا، إلي درجة تمرير اتهامات بالتواطؤ مع السلطة اتجاه هذه الزاوية أو نقد مواقف الخنوع والتقليل من وزن زوايا اتجاه زوايا أخري.

هذا دون الحديث عن الانتقادات التي تُرَوَّجُ في كواليس الحركات الإسلامية، حيث الحديث عن تشجيع السلطة للخرافات والبِدَعِ والكُفرِيات ، بالصيغة التي تصدر مثلا عن التيار السلفي (العلمي والجهادي) وباقي الحركات الإسلامية المغربية ذات النزوع السلفي. (نموذج حركة التوحيد والإصلاح النواة الصلبة لحزب العدالة والتنمية).

أسئلة الرهان المعلقة

هناك إجماع من طرف الباحثين والمتتبعين علي محدودية رهان الدولة (ومعها الإدارة الأمريكية) علي خيار التصوف، سواء في صراعها ضد الحركات الإسلامية المعتدلة بالنسبة للمغرب، أو في الحرب القائمة ضد الجهاديين بالنسبة للأمريكيين (أو ما يسمي بـ الحرب علي الإرهاب). ولا تعدم الأدلة التي تصب في دعم خيار المحدودية.

فالباحث المغربي محمد أتركين (رئيس تحرير فصلية وجهة نظر)، وإن كان يعترف بأنه من السابق لأوانه الحديث عن نتائج هذا التوجه، إلا أنه يقر أيضا بوجود العديد من المقاومات، منها حدود خطاب التصوف نفسه الذي لا يتجاوز إعماله فضاء المساجد وحلقات الوعظ والإرشاد وغير معزز في المدرسة والإعلام العموميين . ثم مقاومة العديد من المترجمين اليوميين للسياسة الدينية لهذا الخطاب ، وأخيرا هناك مقاومة ثالثة، وتتجلي في أن رسم هذه السياسة لم تكن محط مشاركة وتوافق المتدخلين في هندسة السياسة الدينية . (محمد أتركين. مقاومة مركبة لتوظيف التصوف. الأسبوعية الجديدة . الرباط. العدد 104. 2/2/2007)

وواضح أن خطاب الاطمئنان يبقي سيد الآراء في أجهزة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومع أن الصوفية معروف عنها الابتعاد عن الإسهام الرسمي في تدبير الشأن العام، فإنها في الحالة المغربية، تجد نفسها متورطة في إدارة هذا الشأن العام، والدخول في صراعات وحسابات سياسية لا قبل لها بها، وعوض التوقف عند تبعات هذه المآزق الأخلاقية، نجد أن التصفيق يبقي سيد ردود الفعل، فالكل يُصَفِّق حتي الآن لمغرب يقود ويُرَوِّج إسلاما رسميا قائما علي إعادة هيكلة الحقل الديني وتتأسس إعادة الهيكلة هذه علي الورقة الصوفية، ومن سمات هذا الإسلام الرسمي الصوفي أو إسلام التسامح والإخاء والمساواة والمحبة أنه لا يتردد مثلا في تنظيم مؤتمرات الأئمة والحاخامات ، ولا يمكن للناطقين باسمه أن يفكروا في تحرير فتوي تُحَرِّمُ مشاركة المغرب في الحرب الأمريكية/الكونية ضد الإرهاب، ولا بالأحري نقد



جريدة غربية نشرت رسوما كاريكاتورية في حق نبي الإسلام (صلي الله عليه وسلم)، وهم علماء في دولة تَتَمَيَّزُ تحديدا بوجود مؤسسة إمارة المؤمنين.ـ للمفارقة.

علي أن هناك مجموعة من الأسئلة العالقة واللصيقة بموضوع توظيف السلطة للتصوف في إعادة هيكلة الحقل الديني . ونوجزها في النقاط التالية:

ـ هل يمكن اختزال التصدي لمخلفات المذهب الوهابي عبر المراهنة علي توظيف الطرق والزوايا بالمغرب؟

(وغني عن التذكير أن مجرد الإحالة علي الوهابية أصبحت مرادفا للشيطنة لدي صناع القرار السياسي في الإدارة الأمريكية من جهة، ولدي صناع القرار السياسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي، دون الحديث عن خطاب الشيطنة الذي نلمسه في قراءات ومقالات الكتاب العرب المحسوبين علي التيار العلماني/الحداثي المعادي للتيار الإسلامي عموما).

ـ انتظر المتتبع المغربي عقودا من أجل الاطلاع علي نتائج استيراد الأدبيات الوهابية، والتي وظفت في حسابات سياسية ضد فرقاء يساريين وإسلاميين علي حد سواء، فهل علينا انتظار عقود أخري حتي نطلع علي نتائج توظيف ورقة التصوف اليوم؟

ـ ما هي حقيقة المواقف السياسية لرموز الطرق والزوايا المغربية من أحداث الساحة العربية والإسلامية، وبالتحديد ما يتم في فلسطين والعراق؟

ـ ما هي طبيعة الأدبيات الصوفية التي يعول عليها التصدي الفقهي لما يصدر عن الحركات الإسلامية القطرية، والتي تتنافس ضد السلطة تأسيسا علي أدبيات فقهية؟ وما هي طبيعة الأدبيات الصوفية التي يعول عليها التصدي الفقهي لما يصدر عن الحركات الإسلامية الجهادية، وفي مقدمتها تنظيم القاعدة ؟

ـ ما هي مواقف الزاوية من العمليات التي تصدر عن تنظيم القاعدة ، والتي لا تواكب فقط بتسطير أدبيات تشرعن تلك العمليات والتفجيرات، وإنما تمتد إلي حد إبداء تعاطف من باقي الإسلاميين الحركيين المحسوبين علي التيار المعتدل؟

ـ بتعبير أفصح، ما قول رموز الزاوية في عقيدة الولاء والبراء التي تجسد/توجز جوهر أدبيات الحركات الإسلامية الجهادية؟

ـ ألا يخشي أقطاب الزوايا من أن ينقلب توظيف السلطة لورقة التصوف نحو نتائج عكسية تخدش صورة الزاوية البعيدة أصلا عن أي استغلال سياسي ظرفي؟

ـ هل يمكن أن يصل التواطؤ لدي حركة صوفية يتأسس خطابها علي الزهد في الدنيا نحو القبول بهذه السياسات والانخراط فيها؟ أم أن إغراءات السلطة أسمي من نصوص عبد الوهاب الشعراني وعبد القادر الجيلاني ومحيي الدين بن عربي؟

ـ يبقي أمامنا سؤال أخير ولكنه كبير، ما دام يهُمُّ أقطاب الزوايا بالمغرب، والذين يعلمون علم اليقين بأنه من حق الإدارة الأمريكية والسلطة في المغرب أن تراهن علي التصوف، خدمة لأغراض سياسية وأمنية بالدرجة الأولي، لأن السياسة كانت دوما لصيقة الدفاع عن المصالح الآنية والمستقبلية للسلطة الزمنية الحاكمة: ما هو قول مشايخ الطرق والزوايا في هذا التوظيف؟ وما هي مواقفهم إزاء ما وصفهم به مريد صوفي بـ هرولة صوفيين مغاربة نحو المناصب السياسية؟



حسن العلوي:

لا مستقبل للشيعة مع سياسة المشاكسة والتشهير والتشنيع

حوار: شادي جابر موقع الشهاب

(***مع تحفظ الراصد على موقف حسن العلــوي من قضــية الســنة والشيعة، حيث يتسم موقفه بالتذبذب واحيانا بالانتهازيـة، لكن اجابته هنا كانت موفقة. الراصد***).

عمر والتشيع:

ما الذي دفعك لتأليف وإصدار كتاب عمر والتشيع؟ هل ثمة علاقة بين تأليف هذا الكتاب وبين الصراع الطائفي الدائر في العراق هذه الأيام؟

- إذا كنت تريد أن تتصالح مع خصمك وما دمت شيعياً كسياسي أو متنفذ أو صاحب أغلبية في البرلمان.. فلا يجوز لك أن تتصالح في القاعة وعندك فضائية تتعرض لمقدسات المسلمين، وتنال من الصحابة مع التركيز بشكل خاص على عمر وعائشة.. فكأن هذه الفضائيات تعطي مسوغاً فقهياً لإصدار فتوى ضد الشيعة يستخدمها الزرقاوي.. وغيره للذبح على الهوية.

أنا نبهت في وقت مبكر إلى أن الشيعي لم يعد معتكفاً على منبر حسيني في قبو أو في حسينية مغلقة جميع الحاضرين فيها من الشيعة بحيث لا يعرف الآخر ماذا يحدث، فيأخذ الخطيب مداه في التشهير والتشنيع والأراجيف والأساطير، أما الآن فقد أصبح المنبر الحسيني يُبثّ عبر الفضائيات، والحديث ينقل للعالم العربي كله خلال لحظات..

ومن المعروف أن الشيعة هم أقلية محدودة في الوسط العربي والإسلامي إذ لا تتجاوز نسبتهم 10% من أعداد المسلمين في العالمين العربي والإسلامي، ومن هنا فأنت عندما تمثل الأقلية بهذه النسبة المتواضعة تكون كجزيرة محاطة ببحر سني، وبالتالي كيف ستتعامل أنت وأبناؤك مع هذا المحيط الكبير عندما تخرجون من محيطكم الصغير..

فكتابي عن عمر ودعوتي هذه هي لكي يفهم الشيعة أن الأقلية لا مستقبل لها مع سياسة المشاكسة ومع منهج التشهير والتشنيع، وإنما في التجانس مع المحيط، وهذه دعوة سبق أن دعا إليها الشيخ الراحل محمد مهدي شمس الدين في لبنان.. وينبغي على الشيعة أن يتجانسوا مع محيطهم.

كيف تلقت المراجع الشيعية سواء في العراق أو لبنان أو إيران كتابك الجديد؟.

- ربما لم يصل إليهم بعد.. فلا أعرف ما موقفهم.

وكيف كان رد فعل الحكومة العراقية عليه؟

- الحكومة العراقية لا تقرأ، وإنما تستلم بعض التقارير، فمعلوماتها معلومات المخبرين وليست معلومات المطّلعين.

هل هناك من علاقة بين استقالتك من منصبك كسفير للعراق في سوريا وبين إصدارك لهذا الكتاب؟

- نعم أعتقد أن هناك علاقة.. أنا لم أباشر عملي في السفارة لكني توقعت بعد إصدار هذا الكتاب أنهم سيصدرون قراراً بإلغاء المرسوم الجمهوري بتعييني سفيراً في عام 2004، رغم أني لم أباشر ولم أستلم مكافأة شهرية ولم أستخدم أي أداة ولا أعلم أين هي السفارة، وإنما قيل لي إنها مجاورة للسفارة الأمريكية.. لم أذهب إلى السفارة يوماً، لكنهم ربما كانوا سيستغلون هذا الأمر، فأنا استعجلتهم.. سبقتهم إلى الأمر.

قلت في كتابك إن المصريين افتخروا ببطلهم الجديد فأنصفوه وحملوه أسلوباً للإدارة، وأنموذجاً للزهد والتسامي، وروحاً للعدالة الإلهية فيما كبا أهل العراق كبوتهم، فلم يكتب فيه مثقف ينتسب إلي ثقافة التسنن..هل يأتي إصدارك لهذا الكتاب لقطع هذه الكبوة وإنصاف عمر بن الخطاب؟

- محتمل.. نعم.

ألم تخشَ أن يزيد إصدار هذا الكتاب من غضب المراجع الدينية والعامة في الطائفة الشيعية ومن نقمتها عليك؟

- أنا مغضوب عليّ شيعياً من قبل الإسلاميين الشيعة رغم كوني صاحب كتاب "الشيعة والدولة القومية" الذي كان أول كتاب يؤسس للحقوق المدنية للشيعة، وقد اعترف الدكتور أحمد الجلبي في مقابلة تلفزيونية مع قناة العراقية قبل أيام بأن كل عراقي مدين لكتابات حسن العلوي في الحقوق المدنية، فأنا لم أتكلم عن حقوق طائفية للشيعة وإنما عن حقوق مدنية للشيعة، لكنهم بشكل أو بآخر يعترفون بأن هذا الكتاب من أهم ما صدر من كتب الشيعة. ينشرونه في صحفهم ويشتمونني، يسرقونه ويطبعونه، ثم يضعون في المقدمة أنهم غير مسؤولين عما ورد في الكتاب من أفكار، نظراً لأن الكاتب كان بعثياً أو ليس إسلامياً، وغرض هؤلاء قائم مع كثير من اللؤم والضغينة فهم مملوؤن ضغينة ولؤماً ضد الآخر، هم يهاجمون الكاتب لأنه كان بعثياً قبل ربع قرن، فكيف لهم أن يتصالحوا مع البعثي وحامل السلاح الآن في العراق؟! إنهم يكذبون على الناس.

هم يعترضون على من يكتب "الشيعة والدولة القومية" ثم يكتب "عمر والتشيع"، وأقول لهم هما كتاب واحد.. في الكتاب الأول كنت أتكلم عن الحقوق المدنية للشيعة والحقوق المهضومة، كنت ضد أن تتحول الدولة إلى مذهب حاكم ومذهب محكوم، وكان حينها الحاكم سنياً والمحكوم شيعياً.

وفي كتابي عن عمر بن الخطاب المذهب الحاكم شيعي والمحكوم سني.. أنا لا أغير موقفي فأنا كنت ومازلت ضد المذهب الحاكم سنياً كان أم شيعياً، لكن هناك قصوراً في فهم هذا المنهج، ولذلك فالمطلوب مني أن أوضح أكثر من ذلك. في كتابي "الشيعة والدولة القومية"، 400 صفحة وأنا أتكلم عن حقوق الشيعة الضائعة..
الحقوق المدنية وليست الدينية، والكتاب هو ضد أن تتمذهب الدولة وضد أن يكون هناك مذهب حاكم ومذهب محكوم، وأنا ذكرت أن المذهب المحكوم في هذه الدولة هم الشيعة.. والآن في العراق الأمريكي أصبح المذهب الحاكم هو الشيعي والمحكوم هو السني.

هل يمكن القول إن هذا الكتاب يشكل طلاقاً بيّناً بينك وبين إيران وحلفائها؟

- لم يكن بيني وبين إيران من زواج حتي يحدث الطلاق، هذا أولاً، وثانياً على العكس من أخطر ما في الكتاب هو الفصل عن الإمام الخميني باعتباره نموذجاً لفقه المشاركة، هو ترسّم خطى عمر بن الخطاب في فتح بلاد فارس خطوة خطوة، وعندما تعود إلى الكتاب ستجد ما لا يقل عن ثلاثين خطوة للإمام الخميني استمدها من عمر بن الخطاب فى فتح بلاد فارس، فكلتا التجربتين واحدة وهي واحدة لأنها محمدية وأنا من محبي الإمام الخميني.. وقد قال فيّ السيد الخامنئي بعد أن رفع كتاب "أسوار الطين في عقدة الكويت" عام 1996، وبين مجموعة من المساعدين ومنهم السيد محمد علي التسخيري، قال "إن كتب حسن العلوي تخدم البشرية"، وعندما قلت له إنني لست إسلامياً قال "نعم ولكن كتبك تخدم البشرية وتخدم الحقيقة".

الكتابة عن الخلفاء الراشدين

أشرت في كتابك إلي أن ظهور بعض علماء الشيعة على الفضائيات العربية وتنافسهم في مسبة عمر عجل في إصدار الكتاب، هل هذا يعني أن الكتاب صدر قبل وقته؟.

- الكتاب دائماً يخضع للتوقيت.. هو لم يصدر الآن بسبب المداخلات التلفزيونية، ولكن هذه المداخلات ساهمت في توقيت إصدار الكتاب. أنا بدأت بتأليفه بعد كتابي "أسوار الطين في عقدة الكويت" أي منذ عام 1996، والكتاب يأتي ضمن موسوعة اسمها "الفتوح السفيانية"، وهذا الفصل الخاص بعمر، وهناك فصل خاص بعثمان ربما يصدر هذا العام، وعنوانه "عثمان بن عفان.. دماء على صفحات القرآن".

هل ستكتب عن باقي الخلفاء الراشدين.. أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما؟

- لا.. لأن الكتابة عن علي بن أبي طالب لا تدخل في برنامج المصالحة ولا الكتابة عن أبي بكر، فأبو بكر كانت خلافته قصيرة، ولم يكن مثيراً للجدل، كان رضوان الله عليه شيخاً يتبع خطى الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما عمر فهو شخصية حيوية مثيرة للانتباه وللجدل، وهي قائمة حتى الآن.ـ وفيما يتعلق بالخليفة الثالث عثمان فهو لم يعش حياة ناشطة وإنما كانت وفاته هي المهمة، مقتله كان مفجعاً.. ولهذا كتبت عن حياة عمر وأكتب الآن عن ممات عثمان.ـ أما فيما يتعلق بالكتابة عن علي، فأفضل أن يقوم كاتب سني بهذه المهمة.

هل ستتطرق إلى نتائج مقتل عثمان رضي الله عنه، وما سمي بقميص عثمان وحرب الجمل..؟

- بالتأكيد.. أنا أعتقد أن مقتل عثمان بهذه الطريقة هو الذي هيأ لجميع الانقلابات العسكرية في الوطن العربي، وهذا يعني أن الرعاع في الشارع يستلبون السلطة.. في لحظة ما يتسورون الحيطان.. يدخلون القصر الملكي.. يقتلون الملك.. أو يسجنون الملك.. أو ينفون الملك.. ويصبحون ملوكاً مكانه باسم رؤساء جمهورية. السابقة الأولى كانت في مقتل عثمان، فأنا أعالج الموضوع معالجة سياسية وليست دينية، مقتل عثمان هو أول انقلاب للرعاع على السلطة الشرعية.

هل يمكن القول أن حسن العلوي تأثر بعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب بنفس المقدار؟ وإن لم يكن فأي الرجلين كان تأثيره أكبر في نفس وضمير ووجدان حسن العلوي؟

- سؤالك يعكس الثقافة العربية الموروثة بالنظر إلى علي وعمر كخصمين، ولهذا تريد أن تعرف لمن أنحاز لهذا أو لذاك.. أنا أشفق على هؤلاء الذين إذا أرادوا التعبير عن عدم طائفيتهم قالوا نحن منصفون مع علي وعمر، وكأنهم يقرّون بوجود خصومة بين علي وعمر، فهم يجمعون هذه الخصومة بهذين الاسمين، وهذا السؤال يوحي كأنهما خصمان وعلى أن أذهب إلى أحدهما.

أنا أعتقد أن كليهما كان واحداً لأن عمر وعلي ينتميان إلى المنظومة المحمدية.. هما شخص واحد وفلسفة واحدة، وهما أوضح وأبرز ثنائية في تاريخ الإسلام، وقد ظهرت في المزاج وفي السلوك وفي طريقة الحكم، ولذلك أبقى الإمام علي على جميع قرارات عمر بن الخطاب، فأبقى تحريم زواج المتعة كما هو مثلاً، ولم يغير أي كلمة في قرارات عمر سوى مسألة التسوية في العطاء.

عمر وضع جدولاً تراتبياً في العطاء يعطي لعائلة الرسول أولاً وحسب القدم في الإسلام، وهو الذي قال: لا أساوي بين من قاتل رسول الله ومن قاتل معه.. وفي آخر حياته قال: لو عشت لقابل لأعدت الفضول إلى أصحابها، أي لو عشت للعام القادم لعدت إلى منهج التسوية في العطاء، وذلك بسبب الطريقة التي استخدمها بعدم التسوية في العطاء..

وعلي بن أبي طالب استخدم التسوية وهي طريقة أبو بكر وطريقة عثمان لكن عمر اختص بعدم التسوية في العطاء، كذلك عمر أوصى من يأتي بعده بأن يبقي الولاة والعمال لمدة عام دون تغيير حتى لا يحدث اشتباك في الإدارة، ولأن هؤلاء لديهم خبرة أبقاهم عثمان بن عفان لمدة عام بينما لم يلتزم علي بن أبي طالب بهذا القرار لأن الوصية لم تشمله كونه لم يأتِ بعد عمر مباشرة وكان الخليفة الرابع..

وقد نصح بعض الصحابة الإمام علي بأن لا يغير وبأن يستخدم نفس الطريقة السابقة في إبقاء الولاة كما هم، لكن احتجاجات كثيرة ظهرت على بعض الولاة وكان لا بد من تغييرهم وقد غيّرهم، وهذه كانت بداية الإشكالات التي واجهت الإمام علي.. وفي غير ذلك فإن الإمام علي أبقي قرارات عمر كما هي لأن الحكم في زمن عمر كان حكماً مشتركاً لجميع الصحابة، وأكثر اثنين تشاركا هما علي وعمر، تشاركا في القرارات شراكة كانت أكثر من شوري، ولهذا قلت في كتابي إن علياً كان شريكاً في السلطة وليس مستشاراً.

التصالح مع التاريخ

في كتابك عمر والتشيع تشترط لنجاح مشروع المصالحة الطائفية أن يبدأ من التصالح مع التاريخ، وتشير إلى أن حضور اجتماع للمصالحة دون الأخذ بهذا الشرط هو خداع للنفس وضحك على الذات.. لكن هناك من يتساءل لماذا نتصالح مع التاريخ؟ أليس الأجدى بنا أن نتصالح مع الحاضر لبناء المستقبل؟

- منهجي اجتماعي أكثر منه سياسي، وعلى ضوء العلاقات والقوانين الاجتماعية يأتي الناتج السياسي، فالسياسة بنت المجتمع لكن الثقافة العربية الحديثة جعلت المجتمع ابن السياسة، وهذا هو الفرق بين الثوري والمحافظ.. فالمحافظ يعتقد أن السياسة هي بنت المجتمع أما الثوري فيقول بأن السياسة هي أم المجتمع وهي التي تخلق هذا المجتمع وتحدد ملامحه.

الفرق بين الاثنين هو ما جعلني أذهب إلى التاريخ.. فالعمل السياسي سهل، إذ يمكن أن يلتقي الخصمان ويصفق الحاضرون وتصفق القاعة للمنصة وكأن الأمر انتهي، لكن العامل الاجتماعي يبقى، فالمجتمع العراقي منقسم منذ العصر العباسي إلى ربع علي وربع عمر، وعلينا أن نقر بذلك حتى لا نكذب علي أنفسنا..

وهذه أمور التقطها العالم الجريء الشجاع الدكتور علي الوردي الذي تتلمذت عليه في الكلية وما بعد الكلية.. وبقي صديقي حتي وفاته.. الدكتور الوردي صنفهم إلى جماعتين ربع علي وربع عمر، إذاً هناك انقسام اجتماعي، وهناك خطابان في المجتمع.. تأتي فترات يخمد هذا البركان وتأتي فترات أخرى لينشط.

لكن هناك من يقول إن الاحتلال الأمريكي للعراق أطلق العنان للصراع الطائفي، فالطوائف كانت موجودة في العراق من قبل الاحتلال إلا أن ظهور الطائفية بهذا الشكل المخيف الذي نراه الآن لم يكن كذلك قبل مجيء الأمريكيين؟

- أنا أعتقد أن الانشطار الطائفي في العراق موجود قبل أن تكتشف أمريكا وقبل أن يعرف العالم أن هناك قارة اسمها أمريكا، هو موجود منذ العصر العباسي، فالأمريكان لم يأتوا لنا بالطائفية.. الطائفية مستقرة والعراق ميدان ممتاز لحروب الطوائف، الدول تختار الصراع الطائفي، وقد اختارت تركيا وإيران "الدولة العثمانية والدولة الصفوية" هذا النوع من الصراع، وكان صراعاً طويلاً شهد حروباً دامية.. ولذلك لا يجوز بسهولة أن نأتي ونختصر التاريخ والمجتمع ونتعلق بالظاهرة السياسية العاجلة المرئية الواضحة، فنقول مثلاً إن الصراع في العراق بين السنة والشيعة أوجده الأمريكان.. ربما يكون الصحيح أن السنة والشيعة هم من جاء بالأمريكان..

فالسنة تحالفوا مع البريطانيين، والعراق البريطاني كان منذ عام 1921م حتى سقوطه عام 1958م عراقاً سنياً، كان الحاكم سنياً لكن الحكم لم يكن كذلك، بمعني أن الحكم لم يكن يسير على سنن المذاهب السنية الأربعة، كان الحاكم سنياً والقرار كذلك، وكان الحاكم يوظف الطائفة للاستئثار بالسلطة وامتيازاتها، أما الآن فقد انعكست الصورة لكن بنفس الطريقة فالقرار أصبح شيعياً.. الحاكم اليوم شيعي وليس الحكم شيعياً، فالعراق الأمريكي الذي بدأ في 9/ 4 / 2003م هو عراق شيعي، ونتج عن اتفاق بين الشيعة والأمريكان.. والخطر الكبير الآن في العراق هو في محاولة الحاكم الشيعي أن يجعل الحكم شيعياً.

أنا أعتقد أن الصراع كان موجوداً في التاريخ، لكنه اليوم صراع شرس وصل إلي مستويات مرعبة وهي تتمثل مع الأسف في القتل على الهوية.

الخلاف إيديولوجي سياسي

في كتابك تشبه إيديولوجيا القطيعة الدينية بالإيديولوجيا الماركسية القائمة على نبذ وتجريم وإبطال أي اشتراكية أو فكرة صالحة خارج الجدلية الماركسية وقوانين التطور التاريخي القائل بالاشتراكية العلمية.. هل تساوي بذلك بين الإيديولوجيتين أو بين الإيديولوجيات كافة، وهل يمكن المقارنة بين النص الديني المستوحى من القرآن والسنة النبوية وبين النصوص الأخرى المعدة من قبل البشر؟

- أنا أتحدث عن النهج الإيديولوجي.. عندما يقول الماركسي لأتباعه لا توجد إلا اشتراكية واحدة وما عداها خطأ. أنا أعتقد أن النهج الإيديولوجي واحد.

هناك منهج القطيعة عند من يقولون إن الإمام علي بن أبي طالب قاطع الصحابة والدولة بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم.. هؤلاء أشبههم بأصحاب منهج القطيعة من الماركسيين الذين لا يرون حياة أخرى أو اشتراكية أخرى خارج اشتراكيتهم، بينما اكتشفنا وجود اشتراكية أخرى في العالم، وتحديداً في السويد والدول الاسكندنافية، ثبت أنها أرقى بكثير من الاشتراكية السوفيتية التي اندثرت فيما بقيت الاشتراكية في تلك الدول. ومن هنا أنا أردت القول لأهل القطيعة اذهبوا إلى العالم الآخر ولا تكونوا كالماركسيين، ولم أكن أريد أن أقارن بين العقيدتين.

إذا أردنا العودة إلى لبّ الخلاف بين السنة والشيعة.. من خلال أبحاثك الكثيرة في هذا المجال، هل تؤكد الآن مجدداً أن الخلاف السني الشيعي عموماً هو خلاف سياسي كما يذهب بعض المجددين من الباحثين الإسلاميين؟

- في العراق الصراع سياسي نعم، وفي كتابي "الشيعة والدولة القومية" قلت إن الصراع سياسي وليس دينياً، وفي كتابي "عمر والتشيع" قلت إن الصراع سياسي أيضاً، فالصراع بالأساس سياسي، كان ولا يزال صراعاً على السلطة وبسببها، ولو لم تكن السلطة في العراق لما كان المجتمع العراقي يتصارع بهذه الحدة، فإذاً هناك دافع سياسي وهنا تأتي مسؤولية الولايات المتحدة الأمريكية كدولة احتلال.

كان عمر بن الخطاب بعد أن اتسعت الدولة العربية وافتتح العراق يقول "لو مات جدي في طفّ الفرات لشعرت أن الله سيحاسب عمر عليه"، بمعنى أنه كان يعتبر نفسه مسؤولاً حتى عن حياة العنزة على شاطئ الفرات.. ولكن انظر الآن إلى الرئيس بوش فهو ورغم كل هذه المذابح يظهر الآن على التلفزيون ليقول إن الوضع في العراق ممتاز ونحن متفائلون.. أين هو التفاؤل في ظل هذه المذابح التي تحصل الآن؟!.

إلى أي حد في رأيك يسهم هؤلاء العلماء الذين يظهرون على الفضائيات في إشعال نار الفتنة الطائفية؟

- هؤلاء لا يشعلون الفتنة الطائفية، لأنهم ينتسبون إلى أقلية، وإنما هم يحرقون أنفسهم.. يقتلون أنفسهم.. هم ينتحرون بشتم عمر.

لكن ماذا عن الطرف الآخر.. هناك من السنة من يكفر الشيعة ويهدر دماءهم؟



- أنا أقدم منهجاً إصلاحياً، ويجب أن يكون هذا المنهج فعالاً عند الآخر.. عليك أن تلاحظ أنني أنحدر من عائلة شيعية ومن هنا يمكنني أن أتحدث عن الشيعة، وعلى سني آخر أن ينتقد السنة..

أنا كنت دائماً في المعارضة أطلب من أصدقائي السنة أن يتبادلوا الأدوار، فأنا أنتقد سلوك الشيعي على أن ينتقد صديقي السني سلوك السني. عندما ينتقد السني الشيعة فكل الشيعة سيتكاتفون لأنه سني، وعندما يهاجم الشيعي السني سيتكاتف السنة أيضاً، إذاً كلاهما عديم المفعول ولا مصداقية ولا علمية له، لهذا أنا لا أتناول أخطاء السنة، أنا شيعي أتناول أخطاء الشيعة وعلى سني آخر أن ينتقد سلوك السنة. أما لماذا لم أتحدث عن فقهاء ومؤرخين محسوبين على أهل السنة ممن يكفرون الفرق الإسلامية الأخري فمنهجي لا يميل إلى توزيع السيئات على الأطراف، وإنما بالتقاط السلبي المتداول في بيئتي الخاصة.

ما رأيك بمنهج الكاتب التونسي التيجاني السماوي الذي اختار أن ينقلب على كل شيء؟

- هو خضع لرد فعل، كل ما حدث له أنه صار شيعياً على طريقة أصحاب المنابر، وهو خريج السوربون فصار روز خون السوربون "كلمة فارسية مركبة تعني قاريء كتاب الروضة الحسينية"، وأنا أعتقد أن هذا الرجل ليس مصلحاً وإنما هو رجل فضائحي، هو شتم عمر شتائم لا تليق بمثقف ولا تصدر عن باحث، وأنا لا أُقارن بهؤلاء لأنني لم أكن شيعياً وتسننت ولم أكن شيخاً من شيوخ الشيعة وصرت من شيوخ السنة.. أنا لست طرفاً في الصراع المذهبي، منهجي علمي، وحتى عندما أدافع عن الشيعة أتحدث عن حقوق مدنية وليس عن حقوق دينية.

هل تحاول أن تكون على مسافة واحدة من الجميع؟

- لا.. أنا لست على مسافة واحدة من الجميع، بل مسافتي هم الشيعة الذين أتحدث عنهم.

تُميز في كتابك بين المدرسة الشيعية في لبنان ونظيرتها في العراق.. وتعتبر أن المدرسة اللبنانية ألصق بمحيطها العربي وبشخصيتها الوطنية، لكنك ترى أن كليهما يتغذيان من الوريد الإيراني.. بالعودة إلى العملية التي قام بها حزب الله والتي وفرت بحسب الكثير من المحللين لإسرائيل الغطاء السياسي لشن عدوانها على لبنان في يوليو الماضي.. إذا قبلت بذلك، فهل يمكن أن تقبل بأن إيران استخدمت حزب الله لتوجيه رسالة إلى الولايات المتحدة والغرب بالتزامن مع إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن الدولي، وبالتالي تصبح الفروق بين المدرستين ليست أكثر من توزيع أدوار من قبل المرجع الشيعي المشترك في طهران؟

- حزب الله هو المشروع السياسي لإيران، والإسلاميون الشيعة في العراق هم المشروع الطائفي لإيران، وبوجود الغالبية الشيعية في العراق يكون المشروع الطائفي مفيداً، ولكن في الوطن العربي لا توجد أغلبية شيعية كبيرة فالخطاب يجب أن يكون سياسياً، ضد أمريكا وضد إسرائيل.. وحزب الله هو مشروع سياسي وليس مشروعا طائفياً. والتفاصيل الأخرى أعتذر عن الإجابة عنها.



إعدام صدام وثقافة الموت

من خلال معرفتك عن قرب بالرئيس العراقي الراحل صدام حسين.. كيف تلقيت أنباء محاكمته وإعدامه.. وهل كنت تتوقع أن يعدم بتلك الطريقة وفي هذا التوقيت بالذات؟

- تحدثت إلى "العربية نت"، وقلت أن صدام حسين سيعدم خلال الستة أشهر القادمة، أي قبل حلول ذكرى احتلال العراق في التاسع من أبريل 2007.. أنا أمضيت 23 عاماً من المعارضة ومن المعروف عني أنني زعيم المعارضة الإعلامية، والمعارضة هي إعلامية ولم تكن مسلحة أو تنظيمية.. فليس لدينا تنظيمات في العراق بل كانت هناك رسائل صغيرة تأتي للحزب الشيوعي، أما الأحزاب الأخري فليس لها تنظيمات. المعارضة كانت إعلامية وأنا كنت سيدها وتوقفت بعد سقوط النظام عن نقد النظام، وصرت أتكلم في كتبي منتقداً النظام السابق لأنه يستخدم الموت كطريقة عمل، كان يحكم بالموت على أقل الجنايات والجنح، فالنظام السابق كان يبدأ بالموت حتى إذا ظهرت لاحقاً للسلطة براءة هذا الشخص الذي أعدم سمي شهيداً. ومازلت على هذا المنهج. كنت أقول لصدام حسين إن الموت لا يصلح لحل المشكلات السياسية، فأنا ضد أن يكون الموت حلاً للمشكلات السياسية بل هو بداية لمشكلة جديدة، ومن مشاكل صدام حسين كثرة الموت والحكم بالموت على الآخرين.

لكن رغم ذلك أنا لا أوافق جميع هؤلاء الشامتين الذين رقصوا لإعدام صدام حسين، فأنا لم أرقص مرة لإعدام أحد ولا أعتقد أنه من الرجولة أن يشمت السياسي بخصمه في ساعة المحنة، بل الرجولة هي أن تنتصف لخصمك، وهذا الأمر تعلمناه من تراثنا وثقافتنا منذ العصر الجاهلي حين كان الشاعر الجاهلي يشيد بخصمه، فإنصاف الخصم أهم سمة في السياسي، وإذا تخلّف السياسي عن هذا لم يكتب له النجاح، ولهذا فإن الإخفاق يتوالى في السياسة العربية، بينما النجاح يتوالى في السياسات الأوروبية..

الفرق بين السياسي العربي والغربي أن السياسي الغربي ينصف خصمه، أما السياسي العربي فلا يعترف بالخصم، وبالتالي لا يعترف بوجوده.. وأنا حريص على إنصاف خصمي، وقد استغرب الناس بعد 23 عاماً أنني أنصف صدام حسين وأتحدث عنه بود وبعاطفة، ربما نسي هؤلاء أن أول كتاب أصدرته عند خروجي من حزب البعث إلى المنفي كان عن عبد الكريم قاسم الذي وضعني في السجن نصف مدة حكمه، فأنا حُكمت سنتين وثلاثة أشهر، لكن هذا الكتاب كان أول كتاب أصدره بعد خروجي من السجن، وقد كتب عنه الكثير في العراق في محاولات للتقليل من أهميته، والسلطة في العراق أمرت بعض الكتاب أن يكتبوا ضد هذا الكتاب، وقد كتب ضده 16 كتاباً، لكنهم لا يذكرون كتابي هذا، فكما أنصفت عبد الكريم قاسم الذي سجنني أنصفت صدام حسين بنفس المنهج.

عباءة الطائفية



هل ترى أن الحلّ لمشكلات العرب والمسلمين هو في قيام دولة علمانية؟

- كلمة علمانية كلمة غير بريئة.. هي في كثير من الأحيان تعني التغريب واستنساخ المنهج الغربي، وهذه الكلمة تعافها نفسي. وهنا سألجأ إلي فهم محمّدي لتفسير موقفي.. كان خالد بن الوليد وجمع من الصحابة يأكلون طعاماً مشوياً، ومرّ الرسول صلي الله عليه وسلم فقالوا هلمّ إلي الطعام وعندما تقدم سألهم ماذا تأكلون، فقالوا نأكل ضبّاً، فتوقف النبي ولم يأكل فسألوه أحرام أم حلال أكل الضبّ؟ فقال ليس حراماً، فقالوا لماذا إذاً لم تأكل؟ فقال لم أجد قومي تألفه فعافته نفسي. وأنا كلما تذكرت العلمانية تذكرت لحم الضبّ هو ليس حراماً ولكن تعافه نفسي، فهذه كلمة لا أرتاح لها إلا بمعني البحث العلمي والمنهج العلمي لطه حسين وعلي الوردي.

إلى أي حد في رأيك يمكن للكاتب خصوصاً وللإنسان عموماً سواء أكان شيعياً أم سنياً أن يخرج من عباءة الموروث وينفتح على الآخر السني أو الشيعي.. وما هي حدود الشجاعة والإرادة التي يجب أن يمتلكها لكي يقوم بذلك؟

- المطلوب من الكاتب أن يترسم خطى المدرسة المصرية في كتابة التاريخ الإسلامي، وهي التي سرنا عليها في هذا الكتاب.. وأنا لا أدخل في التفاضل بين المذاهب ولا أمارسه.. وأعتقد أن أعظم المفكرين يبقي مهمشاً إذا فعل ذلك.

يحتاج الإنسان لكي يخرج من عباءة الطائفية إلى شيء من الشجاعة، وقد خرج الشاعر الجواهري من عباءة الطائفية بشجاعته، وكذلك فعل الشاعر معروف الرصافي، والمؤرخ ناجي معروف، ومحمد رضا الشبيبي مع أنه كان رجل دين شيعياً.. وأعتقد أن معظم المثقفين العراقيين غير الإسلاميين خرجوا من هذه العباءة.

هذا بالنسبة للمثقفين.. لكن ماذا عن الإنسان المسلم بشكل عام.. كيف يخرج من عباءة الموروث الطائفي في ظل بوادر الفتنة الظاهرة اليوم في العراق على الأقل؟

- على الإنسان المسلم بشكل عام أن يستقي المعلومات من مصادرها التاريخية بدون وسيط. المشكلة لا سيما عند التشيع في وجود هذا الوسيط الثقافي الذي يجلس على المنبر بين مجموعة من الأميين والمتعلمين على حد سواء، فيتحدث وكأنه يتحدث عن حقائق سماوية نهائية، وقد واجهت هذه المشكلة في بداية حياتي وواجهها الجواهري أيضاً، لكننا استطعنا أن نخرج عنها بعد نمو ملكاتنا الفكرية وتطور وعينا الشخصي.

.. وبدأنا نطلع على الحقائق من مصادرها الرئيسية في الكتب القديمة والحديثة.. وهذا لم يتيسر لعامة الناس، فالخلل في مصدرهم الثقافي الذي يخلط الحقائق بالأساطير والأوهام ويميل إلى الإثارة الوجدانية ويكرس فيهم الغرائزية، لكن بشكل عام السنة ليس لهم موقف ضد أهل البيت، وبالتالي المشكلة ليست مع السنة، لا يوجد سني يكره أهل البيت، سواء أكان كاتباً أم رجل دين أم إنسانا عاديا..

فأئمة أهل البيت هم الولاة التقاة عند أهل السنة. وباستثناء الأفكار المتأخرة التي ظهرت عند التكفيريين ووصفهم المسلمين بأنهم كفار ووصف الشيعة بأنهم

روافض وتعجيم التشيع وإعطاء العرب والشيعة هدية لإيران.. هذا خطأ منهجي متأخر الآن، أما الكتب الفقهية وكتب التاريخ العام، على سبيل المثال الطبري ككاتب سني لا يختلف كثيراً عن المسعودي الشيعي، وكذلك البلاذري السني لا يختلف عن اليعقوبي الشيعي. فكتب التاريخ العام كانت كتباً محايدة مكتوبة بلغة أكاديمية علمية راقية، وفيها إنصاف للجميع.

المشكلة في الطرف الشيعي الذي لا يعترف بالصحابة ويشتمهم، هذا الجانب هو الذي عليه الخروج من عباءته.. المشكلة في ظهور كتابات متأخرة بدأت تكتب تاريخاً خاصاً مثل المجلسي في بحار الأنوار، والكاظميني صاحب كتاب "جواهر الولاية"، وكثير من هذه الكتب الفقهية التي ظهرت في إيران بمجلدات كثيرة.. هذه ابتعدت عن الروح الأكاديمية وكانت كتباً غير منصفة فيها تحامل كبير على الصحابة، وأصحاب المنابر يستلهمون معلوماتهم من هذه المصادر كمصادر تاريخية بدل أن يستلهموها من مصادر التاريخ العام كالبلاذري والمسعودي والطبري وابن الأثير..

وإذا جاز لي أن أقدم نصيحة فهي أن يعود الجميع إلى التاريخ العربي العام، وليس إلى الكتب الفقهية المذهبية التي كتبت لغرض مذهبي مثل كتاب "بحار الأنوار"(2)، هذا كتاب سيء للغاية، وعلي الوردي كان أول كاتب مفكر نبه المثقفين إلى خطورة هذا الكتاب، والإمام الخميني نفسه ألغي أجزاءً وطبعات كثيرة من هذا الكتاب، لكن بعد وفاة الإمام عادوا فطبعوا المجلدات كاملة، وللأسف الشديد كتاب "بحار الأنوار" مصدر يقدم المعلومات غير الصحيحة للأجيال.

في كتابك ذكرت شقيقك الراحل أكثر من مرة، واستشهدت بفقرات من مؤلفاته.. إلى أي حد تأثر حسن العلوي بالمفكر الراحل هادي العلوي؟

- أنا تلميذه الصغير.. ورغم أن الفرق بيني وبينه سنتان لكنه أكبر مني بقرن وأعلم مني بقرن وأعمق مني بقرن.

نطرح هذه الأسئلة وغيرها، من منطلق أن أهل الصفة و الفقراء في العالم والمغرب يعتزون بأثر صوفي شهير جاء فيه أن حُب السلطة آخر ما يُنزَع من قلب المريد.

(1) المصدر: الراية القطرية.

(2) **بحار الأنوار** كتاب مشهور لدى الشيعة ألفه المجلسي، يحتوي على الكثير من الأحاديث عن النبي محمد والأئمة الإثنا عشر، ويعتبر كتاب "بحار الأنوار" من الكتب التي اكتسبت الخلود في تاريخ مصنفات الإمامية، فمن ناحية كان المؤلف من الذين تصدروا سلسلة العلماء، الذين قاموا بدور متميّز كحصن من حصون التشيع: سواء بسلوكه العملي، أيام تصديه لمنصب مشيخة الاسلام في اصفهان ، أو بسلوكه العبادي، أو في ترويجه لمعارف أهل البيت (ع). ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب الذي يعد أوسع مجموعة حديثية عند الامامية، حوى أصنافا من الأخبار، مبوبة تبويبا فريد ، بلغت أكثر من 2500 بابا، وذلك في عصر لم يكن الوصول فيه إلى المصادر أمرا ميسورا. وقد أورد المجلسي في طيات كتابه، تحقيقات، وبيانات .

الصوفية في تركيا

باختصار من بحث "شهادة أولية على الحالة الإسلامية في تركيا"

وسام فؤاد
مشرف وحدة البحوث والتطوير بشبكـة إسلام أون لاين

من موقع مركز دراسات الظاهرة الحضارية

الطرق الصوفية:

الطرق الصوفية التركية لها جذور تاريخية ترجع إلى مئات السنين، وظلت محافظة على وجودها بين أفراد المجتمع وطبقاته على الرغم من كل محاولات القضاء عليها. وكانت رسالة هذه الطرق حفظ الثقافة الإسلامية كشريعة ودين بما يتضمنه من عقائد وأخلاق وأحكام عبادية في نفوس الشعب التركي من خلال أشكال وطقوس دينية: أذكار وأوراد وأناشيد وابتهالات، وعكفت طرق أخرى صوفية على تحفيظ القرآن للناس في بيوت شيوخها أو منازل خاصة أنشأتها لهذا الغرض، وبعضها الآخر اكتفى بالتعبير عن روحانيته بالدروشة التي تصورها وسائل الإعلام العربية في كل مناسبة دينية معينة، واختصت كل فئة أو طريقة بلباس خاص بها، يميزها عن الأخرى.

لم تكن هذه الطرق الصوفية - التي سنعرض لبعض مكوناتها - بأتباعها ومريديها المنتشرين في مختلف ربوع تركيا مجرد حشود بشرية لا وزن لها داخل المجتمع التركي، بل كانت طرفا محل تقدير قبل الجمهورية وبعدها، بحيث كان منها العلماء والقضاة والوزراء، وقامت بدور مشهود في حرب الاستقلال في السنوات الأولى لتأسيس الجمهورية، واحتفظت بدورها البارز برغم الإجراءات الكمالية التي رفضتها رفضا مطلقا. وإلى اليوم مازالت هذه الطرق تعد لاعبا فاعلا على مسرح الأحداث داخل المجتمع التركي.

والواضح للمراقبين أن هذه الطرق لم تكن تتعاطى العمل السياسي المباشر في معظمها انسجاما مع فلسفتها ورؤيتها لعملية التغيير والبناء، إلا أن ذلك لم يمنعها



من أن يكون لها دور بارز في الحياة السياسية التركية.
وقد مر تعامل مصطفى كمال أتاتورك وحركته: الكماليون مع الطرق الصوفية بمرحلتين أساسيتين:
المرحلة الأولى: تميز موقف الكماليين تجاه الجماعات والطرق الصوفية بالود والاحترام، لأن الأمر كان يقتضي تغيير نمط التدين الإسلامي الرسمي أولا. وخلال هذه المرحلة تعاون الكماليون بصورة كاملة مع الجماعات الصوفية ضد مؤسسة الخلافة.

وفي حرب الاستقلال استخدم مصطفى كمال قادة الجماعات الصوفية لتعبئة الجماهير للجهاد ضد الغزاة، ولذا فان دستور 1924م ترك الجماعات الصوفية حرة من دون أي قيود دستورية.

المرحلة الثانية: سن قانون جديد يقضي بحل هذه الجماعات، وذلك حينما أيقنت التجربة الكمالية أن هذه الطرق الصوفية تمثل تحديا أساسيا في مواجهتها. واستتبع عملية الحظر هذه إغلاق مقرات هذه الطرق، ومنع أصحابها من القيام بأي نشاط في أي مكان، فاضطرت إلى ممارسة نشاطاتها سرا على الرغم من موجة التشريد والنفي والتهجير التي تعرض لها كثير من شيوخها وأتباعها.

عند استقرار الوضع قامت بعض هذه الطرق بتكوين جمعيات للإنفاق على طلاب مدارس الأئمة والخطباء لتعويض النقص الذي حصل نتيجة اختفاء الدعاة بسبب المحن التي تعرضوا لها، كما ظهرت طرق أخرى جديدة كرد فعل على الممارسات التي رافقت إجراءات العلمنة الكمالية التي استهدفت إقصاء الدين عن الحياة التركية العامة.

مع بداية الخمسينات بدأ التضييق والحصار يتراجع عن الدين وأهله من رجالات التصوف وغيرهم من الجماعات والأفراد، وفي هذه الفترة أخذت العديد من هذه الطرق تخرج من سريتها، لتمارس نشاطاتها بشكل علني شيئا فشيئا، وساعدها على ذلك تنافس الزعماء السياسيين على كسب أصوات أتباعها عند اقتراب الاستحقاقات الانتخابية، بل إن بعض زعماء الأحزاب كانوا لا يترددون في أن يعلنوا أنهم أعضاء في بعض هذه الطرق. ويمكن إجمال الحديث عن هذه الطرق فيما يلي:

أ - الطريقة النقشبندية:

وهي من أعرق الطرق الصوفية في تركيا، وأكبرها وأوسعها انتشارا، لها امتدادات في مجموعة من دول العالم الإسلامي، مؤسسها هو محمد بهاء الدين النقشبندي الذي عاش في بخارى بين عامي 1317 و1389 هـ، وحمل الطريقة عنه إلى الأناضول أحد أتباعه وهو عبد الله السماوي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، لتنتشر في مختلف أنحاء تركيا.

شارك النقشبنديون في كل الانتفاضات التي ثارت في وجه الإجراءات التي اتخذها أتاتورك ورفاقه لعلمنة تركيا. ومع إقرار نظام التعددية الحزبية عاودت النقشبندية نشاطها، وعملت على تعزيز حضورها في أوساط أساتذة الجامعة وموظفي الدولة وأصحاب المهن الحرة. وهكذا صارت داخل النقشبندية ثلاثة تيارات فرعية يتزعم كل واحدة منها شيخ نقشبندي، وهي:

التيار الأول: وضم فئة الحرفيين والتجار الصغار من الطبقة الوسطى.
التيار الثاني: وضم مجموعة من المثقفين وأساتذة الجامعات ورجال الأعمال وزعماء بعض الأحزاب السياسية.
التيار الثالث: وضم الشرائح الاجتماعية البسيطة من الناس من أهل المدن والقرى والأرياف.

وقد كان لهذه الطريقة علاقات مع القوى الحزبية التي تعتبر أداة المشاركة السياسية في تركيا العلمانية المدنية. وفي البداية كانت النقشبندية تدعم حزب النظام الوطني ثم حزب السلامة الوطني عند تأسيسهما من طرف السياسي الإسلامي نجم الدين أربكان الذي كان نقشبنديا، وبعد الانقلاب العسكري لسنة 1980 تشرذم النقشبنديون، فانتمت الغالبية إلى حزب الوطن الأم عند تأسيسه عام 1983، فيما أيد آخرون حزب الرفاه، ولا يزال هذا الانقسام بين الأحزاب قائما إلى اليوم.

ب - طرق صوفية أخرى:

وتوجد طرق صوفية أخرى إلى جانب الطريقة النقشبندية أقل منها انتشارا وأعضاء، ويتعلق الأمر بالمولوية والتيجانية والقادرية والرفاعية والجراحية، وهي طرق صغيرة الحجم بالمقارنة مع الطريقة النقشبندية، لكنها هي الأخرى منتشرة في كثير من مناطق ومدن تركيا، لها نشاطاتها الخاصة بها، كما لها حضورها في دعم بعض الأحزاب دون أخرى.

الجماعات الإسلامية ذات البعد التربوي والفكري:

وهي جماعات تأسست كرد فعل متأخر نسبيا على إجراءات العلمنة الكمالية.
وقد ظهرت هذه الجماعات في أواخر الخمسينات وبداية الستينات، ومنها على وجه الخصوص جماعة النور وتنسب إلى مؤسسها بديع الزمان سعيد النورسي، والجماعة السليمانية التي أسسها سليمان حلمي تونهان، الذي كان شيخا نقشبنديا. والبعض يضم الجماعة الإيشكشيكية، ومؤسسها هو حسن حلمي إيشيك، وهو ما لا يراه الباحث لأنها كانت - حركيا - خصما من الحالة الإسلامية لا إضافة لها، وعقديا - لها دعوات ليست ضمن الإسلام.
ما يميز هاتين الجماعتين حرصهما على أن يستقلا كل منهما بخط فكري يميزها عن غيرها من باقي الطرق الصوفية، وسنورد تعريفا مقتضبا عن كل جماعة من هذه الجماعات الثلاث.

أ - جماعة النور/النورجية:

تنسب الجماعة إلى الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، وتعد من أكثر الجماعات الإسلامية حضورا وتأثيرا في شرائح المجتمع التركي، بالأرياف والمدن.

لم يشكل بديع الزمان النورسي جماعة النور في حياته أو لم يكن له دور في تنظيمها على شكل جماعة، بقدر ما كان يشكل مرجعا فكريا لمجموعة من أتباعه الذين لمسوا فيه صلاح الحال وقوة الإيمان. فقد اشتهر إضافة إلى علمه وتقواه وورعه بجهاده ضد الاحتلال الأجنبي وتعاونه مع جماعة الاتحاد والترقي قبل الاستقلال، ومواقفه الرافضة للإجراءات الكمالية بعد الاستقلال. وقد نال من جراء ذلك النفي

والطرد والتشريد كباقي العلماء.

ثم تأسست جماعة النور وتشكلت في شكل تنظيم بعد وفاة سعيد النورسي، حيث قام أتباعه بطبع رسائله المعروفة برسائل النور، التي تشكل الأساس النظري والمعرفي للجماعة. ومع أن هذه الرسائل لا تحدد مواقف ولا أهدافا سياسية واضحة، إلا أنها تحمل في طياتها رؤى وتصورات عميقة فيما يخص تدبير شؤون حياة الإنسان الدنيوية والأخروية، مؤكداً على البعد التربوي الذي كان يحث أتباعه على ضرورة ترسيخه وتعميقه باعتباره الأساس والمنطلق لأي عملية تغييرية فردية أو جماعية.

إن المسألة الأساسية التي يؤكد عليها أتباع بديع الزمان النورسي هي الوصول إلى نظام حكم لا يتدخل في شؤونهم ولا يمارس القمع والضغط عليهم، أما فيما يخص طريقة تعاملهم مع مؤسسات الدولة فهم لا يرفضونه، وهو ما يؤكده وجودهم في مجموعة من المؤسسات العلمية من كليات ومعاهد وإدارات ووزارات ومؤسسات اجتماعية واقتصادية .

وبخصوص نظرتهم إلى السياسة تحديدا فهي نابعة من تصور شيخهم، فقد كان موقفه تتحكم فيه ظروف معينة، ففي بدايات حركيته، يمكن القول أنه كان يمارس السياسة بطريقة غير مباشرة، دل على هذا الأمر انخراطه في حملة مواجهة الاحتلال من خلال نافذة جمعية الاتحاد والترقي قبل أن ينقلب عليه أصحابها، وبعد فترة نفيه سيؤطر سلوكه من خلال مبدأ كان كثيرا ما يردده وهو قوله" "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة". لكن في المرحلة الأخيرة من حياته دخل المعترك السياسي، لا من أجل تكوين حزب سياسي بقدر ما من أجل إبعاد حزب الشعب الجمهوري عن الحكم، دون أن يعني ذلك اعتقاده في صلاح الأحزاب الأخرى.

اتبع تلامذة بديع الزمان النورسي هذه القاعدة في دعمهم للحزب الديمقراطي في بداية الانفراج السياسي، حيث أدلوا بأصواتهم لهذا الحزب في انتخابات 1950 و 1954 و1957. إن فكرة عدم تفضيل تلامذة بديع الزمان النورسي الدخول للمعترك السياسي من خلال تأسيس حزب سياسي أي تحويل جماعتهم إلى حزب أمرا غير عام كانت تأخذ به جل الجماعات التي تنتسب للشيخ بديع الزمان النورسي، والتي بلغت اثنتا عشر جماعة.

فقسم كبير من هذه الفرق اتجه إلى طبع الرسائل وتوزيعها ودعوة الناس إلى مفاهيمها، وتأسيس مدارس تربوية وتعليمية حرة في مستوى قوي تعليميا داخل تركيا وخارجها، يستقطبون لها أجود الطلاب، ويسهرون على تعليمهم. حتى إذا ما أصبحوا كوادر قوية علميا، انتفعوا وانتفع مجتمعهم من خبراتهم، تؤطر هذا القسم فرقة فتح الله جولين الذي يملك شبكة من أقوى المؤسسات التعليمية والإعلامية داخل وخارج تركيا. وقسم آخر منهم اكتفى بتلقين أفكار شيخهم لأتباعهم.

وقسم آخر انخرط مع بعض الأحزاب السياسية. والى جانب هذه الفرق هناك فرق أخرى لا تفتأ تعلن انتسابها لبديع الزمان النورسي بينما يبتعد منهجها عن خط ذلك الشيخ كثيرا، ومنها جماعة "يني نسل" وجماعة "دعوى".

ب - السليمانيون:

هم جماعة أسسها أحد شيوخ النقشبندية، وهو: سليمان حلمي تونهان، وقد اتصفت هذه الجماعة بالتشدد والراديكالية في معارضتها لأتاتورك وإجراءاته، وللنظام العلماني عموما ونمط الحياة الغربية التي أريد للمجتمع التركي الدخول في أتونه.



وتنتشر هذه الجماعة داخل تركيا وخارجها في أوروبا الغربية ولا سيما في ألمانيا.
وقد دخل السليمانيون منذ تأسيس حركتهم في صراع مع رئاسة الشؤون الدينية التي لا تعتبرها ممثلة للإسلام. ويعلن أتباعها وكذا شيوخها أنهم مدركون حقا لحقيقة الصراع، ولذلك يدعون فئات المجتمع التركي إلى الالتحاق بجماعتهم.
ويولي زعماء الجماعة السليمانية أهمية للعمل العام في المجال الثقافي، وهم تبعا لذلك يملكون مراكز ثقافية في أكثر مدن تركيا، كما عملوا على تأسيس مؤسسات موازية للمؤسسات الدينية التي تشرف عليها الدولة.
وتتصف الجماعة السليمانية بالانضباط الصارم لأعضائها، فهم خلافا للنقشبنديين ولجماعة النور يتحركون ككتلة واحدة أو جسم واحد في مجالات عدة.
أما في الجانب الاقتصادي فتتميز الجماعة السليمانية بمصادرها ومواردها الاقتصادية المهمة عبر مشاريعها التجارية المتعددة، وهذه ميزة غالبية الطرق الصوفية، أما بخصوص الولاءات السياسية لهذه الجماعة الدينية فتتسم بالظرفية وتتنوع بين مجموعة من الأحزاب اليمينية.

شيعة أمريكا

التجمع العالمي للشيعة المسلمين في أمريكا (أمة) يقيم مؤتمره السنوي الخامس

الوكالة الشيعية للأنباء

استلهاما من الآية الكريمة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) (المائدة:2).
أقام التجمع العالمي للشيعة المسلمين في أمريكا (أمة) مؤتمره السنوي الخامس في العاصمة الأمريكية واشنطن في الفترة من 25 إلى 27 مايو 2007 تحت شعار " مستقبل الشيعة المسلمين في أمريكا "
ومن البرامج الأساسية للمؤتمر ندوة الحوار بين الأديان والحضارات ، فبالإضافة إلى المحاضرات الدينية والتثقيفية يوفر المؤتمر للمشاركين ورش عمل متخصصة في مجالات مختلفة تساعدهم على تخطي العقبات التي تواجههم للعيش في الغرب بشكل عام وفي أمريكا وكندا بشكل خاص . كما توجد برامج خاصة للشباب والذي يركز على تدريبهم وتثقيفهم وتعليمهم ومساعدتهم لإكمال النصف الآخر من دينهم . كما يتخلل المؤتمر برامج صحية تثقيفية تشمل معرض للخدمات الطبية المجانية تشتمل على فحص السكر والكلسترول وضغط الدم و بي ام اي وغيرها . ومن الشخصيات التي حاضرت في المؤتمر:
البروفسور السيد حسين نصر أستاذ العلوم الإسلامية في جامعة جورج واشنطن
الدكتور ماهر حتحوت رئيس المركز الإسلامي في جنوب كاليفورنيا
سماحة السيد مصطفى القزويني مؤسس و إمام المركز الإسلامي الثقافي في لوس أنجلس
سماحة السيد حسن القزويني إمام المركز الإسلامي في أمريكا الشمالية



البروفسور فيرنون جيمس شوبل أستاذ الدراسات الدينية في كلية كينيون بولاية أوهايو
البروفسور سليمان ينج أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة هاورد في واشنطن
الدكتور حسنين والجي المسئول السابق للخوجة في أمريكا
الأخت نجاح بزي الناشطة الإسلامية
الشيخ سخاوت حسين إكندا.مع الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه في نيوجرسي
الشيخ محمد الهي
الدكتور حميد ماواني أستاذ الدراسات الإسلامية

السيد جواد القزويني
السيد عمار النقشوان
كما أقيمت ندوة خاصة عن شيعة العراق تحدث فيها سفير العراق في الأمم المتحدة الدكتور حامد البياتي و السيد بسام الحسيني مستشار رئيس الوزراء العراقي .

هذا و قد شارك في الحضور على ما يربو من 3000 شخص من أبناء الجالية الشيعية المسلمة في الولايات المتحدة و كندا.



مقابلة مع أميرة أيزيدية

العربية نت 15/6/2007 باختصار

الأميرة عروبة بايزيد اسماعيل بك، هي ابنة أمير الطائفة السابق الذي مات قبل عدة سنوات، وابنة شقيق الأمير الحالي تحسين سعيد علي – 70 عاما –

و الأميرة عروبة التي ترأس تحرير صحيفة "أنا حرة" على الانترنت تعتبر أول امرأة يزيدية ترأس تحرير صحيفة من ضمن أربع صحف يصدرها ايزيديون خارج العراق للدفاع عن ما يسمونه حقوقهم المسلوبة، خاصة أن لهم ممثلا في البرلمان في كتلة التحالف الكردستاني.

ويبلغ عدد الايزيديين في العراق نصف مليون نسمة يعيش 75 بالمائة في المنطقة الجبلية القريبة من الحدود السورية وعشرة بالمائة منهم في المنطقة الكردية في مدن دهوك والسليمانية واربيل و15 بالمائة في منطقة شيخان، ويقدر عددهم الاجمالي في العالم بحوالي 800 ألف نسمة.

وهم من الناحية القومية أكراد ويتكلمون اللهجة "الكرمانجية" لكنهم يشتكون دائما من مضايقات الأكراد لهم بسبب ديانتهم وتعرضهم للاحتقار والتنكيل.

قالت عروبة إنها من عائلة الامارة الايزيدية التي ترعى شؤون هذه الطائفة منذ سنوات طويلة جدا، وتوارثوا ذلك من أجدادهم، وأن والدها كان أميرا للطائفة حتى وفاته العام 1981 ثم خلفه عمها الأمير "تحسين".

وتتحدث عروبة عن قواعد وتقاليد دينية راسخة تتمسك بها عائلة الامارة طوال تاريخها فلا يمكن لنسائها ورجالها أن يتزوجوا من خارجها، ومن ثم يتم الزواج بين الأمراء والأميرات لتظل دماء العائلة نقية خالصة.

وتقول "حقا تسبب هذا الزواج الداخلي من العائلة عبر الزمن في بعض الأمراض الوراثية، لكن لا يمكننا أبدا التخلي عن هذا التقليد".

وتضيف: رغم أني رئيسة لتحرير صحيفة "أنا حرة" التي يوحي اسمها بالدفاع عن حقوق النساء، لا يمكننا أبدا الاقتراب من هذه القاعدة الدينية، فأي أميرة لا تستطيع الزواج من خارج عائلتها الأميرية. أنا نفسي متزوجة من أمير، وغيري أيضا، ولم يحدث أن تمردت أميرة أو أمير على هذه التقاليد

.

ولا يقتصر الأمر على عائلة الامارة، فالزواج المختلط ممنوع بين الطبقات على حد قولها، كل طبقة تتزوج من داخلها، وهذا أمر لا يمكن التحايل عليه "فنحن نعرف بعضنا وعشائرنا جيدا".

خارطة الطبقات الإيزيدية

وعن خارطة الطبقات في الطائفة الايزيدية تقول عروبة إنها تشمل 6 مواقع وهي" طبقة الأمير والشيخ، وطبقة الفقير المتعبد، وطبقة القوال الذي يرتل الأناشيد الدينية، وطبقة الكوجك، وطبقة البير، وطبقة المريد.

وتضيف الأميرة عروبة إنهم من نسل "عدي بن مسافر" مؤسس الطائفة وله مزار في شمال العراق "يحجون" إليه. ورغم أنها تعيش في أوروبا فانها تتمسك بتقليد الزواج من داخل عائلة الامارة بالنسبة لأولادها، كونها أما لبنت وولدين "هذه تقاليدنا سنظل نتمسك بها".
وتؤكد بأن أحدا لا يملك أن يقوم بأي مبادرة لتغيير هذا التقليد، لأن ذلك معناه انهيار الايزيدية التي لها خصوصياتها التي تتميز بها. وترفض أن تتخصص صحيفتها الاليكترونية "انا حرة" في الدفاع عن حقوق المرأة الايزيدية ومن ضمنها الزواج قائلة "من المستحيل أن تفكر أي فتاة ايزيدية ان تتزوج من خارج طبقتها، ونحن في الصحيفة معنيون بشأن الديانة والطائفة بوجه عام، ولا مجال للحديث عن حقوق النساء".
وتوضح أن مركز الامارة الايزيدية يقع في الأصل في قرية "باعزرا" لكن الأمير يستقر حاليا في مدينة شيخان التي تقع في قلب اقليم كردستان، وعنده بيت في دهوك، ويمتلك في يده كل الصلاحيات فيما يخص الطائفة وتسيير أمورها الدينية والاجتماعية والسياسية.
وتعود جذور هذه الطائفة الى القرن الثاني عشر الميلادي، ومؤسسها هو عدي بن مسافر الذي ولد في دمشق عام 1162م وتوفي في مكان يبعد حوالى 10كلم عن شيخان.

شري شري`.. سيد روحي في ديارنا!

ياسر الزعاترة   الدستور 29/5/2007

(هذا مذهب هندوسي مطور يغزو عقول بعض أبنائنا تحت يافطة تنمية أو التواصل مع الطبيعة !! أضفنا ملحق للمقال تعريف بفلسفة هذا الهندوسي من معجب به !!الراصد)

كتبنا غير مرة منتقدين دورات البرمجة اللغوية العصبية وما شابهها من دورات تنمية المهارات الذاتية التي تبيع على الشبان إمكانية أن يكون أحدهم قائداً أو مشروع قائد في غضون أسابيع ، أو أن يغدو زوجاً مثالياً أو سعيداً في غضون بضعة أيام ، وبالطبع على يد خبير متخصص.
قبل شهور سمعت أن الأب الروحي للعبة البرمجة اللغوية العصبية قد أعلن كفره ببضاعته القديمة واكتشافه لمعطيات أخرى ، والنتيجة هي أن كل ما تم بيعه كان في معظمه بضاعة مغشوشة ، ما يمنح من شاركوا في تلك الدورات الحق في ملاحقة

المؤسسات المعنية لتحصيل حقوقهم ، تماماً كما كان يفعل المصريون الغلابى عندما يتبين لهم أن الفيلم الذي شاهدوه (أي كلام) ، أو لم تعجبهم الخاتمة ، فيشرعون في التظاهر وتكسير المقاعد مرددين: "سيما أونطة ، هاتوا فلوسنا"،،

وإذا كنا نقول ذلك عن أقوام يبيعون الدورات ذات النمط الغربي مضافة إليها نكهات من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فماذا عسانا نقول عن حكاية "شري شري" ، ذلك الفيسلوف أو الراهب أو "صاحب الطريقة" الهندي (سمه ما شئت) الذي حط في ديارنا مؤخراً وقدم محاضرات شهدت حضوراً كبيراً ، فيما كانت تنتهي بتدافع أعداد من الشبان من حول الرجل يطلبون بركاته الإلهية،،

مدرسة "شري شري" ، بحسب ما يقول صاحبها هي مدرسة روحية اجتماعية تأسست في الهند عام 1955 ، وهدفها "مساعدة الأشخاص من أجل الوصول إلى المعرفة التامة للنفس وإقامة بنية اجتماعية تؤمّن فيها طاقات الناس المادية والفكرية والروحية".

من الواضح أننا أمام لون من ألوان المدارس أو الطرق التي تتكاثر في (الهند) ، بلاد العجائب ، وحيث يخلط الرجل كما هي عادة الأديان الهندية بين تعاليم البوذية وبعض الأديان السماوية ليخرج بدين خاص أو طريقة خاصة ، الأمر الذي يجد صدى في غرب يعيش الكثير من الناس فيه خواءً يدفعهم نحو البحث عما يروي ظمأهم الروحي.

والحال أن شري شري ليس وحيداً في هذا المضمار ، فثمة في الغرب أشكال عديدة من هذه الصرعات ، من بينها ذات لون إسلامي ، وقد انتشرت خلال الأعوام الأخيرة في أمريكا والغرب ترجمات لجلال الدين الرومي ، المتصوف التركي الشهير.

في عمان ، يبدو أن مثل هذه الصرعات تجد صداها في أوساط شبان من طبقة معينة يتابع بعضهم ما يجري في الغرب ، وقد أجزم هنا أن محاضرات شري شري لم تستقطب أحداً من الطبقات الأخرى ، ليس لأنهم لم يسمعوا به فقط ، وإنما لأن بضاعته لا تعنيهم من قريب ولا بعيد.

محزن أن يجد بعض شباننا في تعاليم "شري شري" ما يملأ فراغ أرواحهم ، مع أن بين أيديهم دينا عظيما يملأ الروح بالطمأنينة عبر سلوك يومي هادىء عنوانه التوازن بين حاجات الروح وحاجات الجسد ، كما يمنح النفس الشعور بالرضا حين تقدم الخدمة للآخرين طلباً لمرضاة الله عز وجل.

سيقول لنا البعض إن ما يقدمه "شري شري" لا علاقة له بالدين ، وهو قول غير صحيح لأن الرجل يقدم نفسه كسيد روحي للغبطة الإلهية كما في بعض الترجمات ، أو "بابا" بحسب بعض التعبيرات ، أو التجسيد الإنساني للإله أو الرب. وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا كان بعض الشبان يلتفون من حوله ، بحسب ما روى لنا بعض الحضور ، ويتمسحون به ويطلبون منه البركة الإلهية؟،،

كيف يترك هؤلاء القوم ما لديهم من رصيد عظيم لدين هو الأكثر انتشاراً بين البشر لما يتسم به من مراعاة لحاجات الإنسان على مختلف الصعد ، ثم يذهبون إلى "شري شري" وتعاليمه؟،

ملحق
الهندوسية

تُعتبَر الهندوسية استمراراً للديانة الفيدية، وهي توحيدية متعددة الشكل، انتشرت منذ ألفي سنة قبل الميلاد. كانت تدعى أساساً البرهمانية، وترتكز على كتب الفِيدا الطقوسية الأربعة التي كتبها الراؤون بالسنسكريتية، وتناقلتها التقاليد، منظِّمة الحياة الفردية والاجتماعية. يحافظ الرهبان البراهمة على النصوص والطقوس المقدسة ذات البعدين الكوني والاجتماعي والمؤدية إلى تحقيق الدهارما.

براهما هو الإله المطلق الأساسي في الهند، وهو بعيد جداً إلى حدِّ أنه لم يبقَ له فيها معابد؛ ويؤثَر عليه الهنود شيفا، مدمِّر الأشكال ومجدد الكون عبر رقصته الكونية. أما فيشنو فهو رسول دائم ومستمر، حافظ الخير ومصحِّح الشر، يتجسد على الأرض ليعيد النظام فيها إلى نصابه. بالنسبة إلى الهندوسية، كريشنا هو الرسول الثاني، وبوذا هو التاسع؛ أما العاشر فلا يزال مجهولاً، لكن بعضهم يرى فيه يسوع المسيح والبعض الآخر محمداً. فالهندوسية تستطيع أن تدمج في ديانتها المعتقدات الدينية الخارجية، محافظة على ركنيها الأساسيين وهما: الذبحة والتقمص.
يصحِّح أحد الشيوخ الروحيين للهندوسية، شري شري رافي شنكر، نظرة الغرب إلى ديانته، مؤكداً على أن الهندوسية تعترف بإله واحد يتجسَّد في أشكال ومراحل مختلفة من التاريخ البشري، متخذاً أسماء ولغات وتعاليم مختلفة، تبعاً لحاجات كل زمن، معتبراً في المقابل أن الديانات التوحيدية الأخرى حرمت الله تنوعه وحوَّلته إلى إله أوحد، تعسفي ومتطلِّب. ويضيف أن الهندوسية تهب معتنقيها الحرية المطلقة في سلوك الطريق التي يجدونها الأفضل لبلوغ الله، من دون أن تحمِّلهم أوزار الخوف والذنب. وهي ديانة لا تحاول أن تفرض نفسها بالقوة على الآخرين، لأن كل ديانة تعتقد نفسها متفوقة على سائر الديانات تتسبب بالعنف الجسدي أو النفسي حيال الآخرين. هذا الشعور بالتفوق ناتج من عدم معرفة الديانات الأخرى؛ إذ لكلٍّ منها طبعه الخاص وعبقريته المطابقين لمزاج البلد الذي نشأت فيه وثقافته وعاداته.
كما يدعو شيخ الهندوسية الروحي هذا إلى معرفة الجوانب الصالحة من كلِّ ديانة وتقبُّل التنوع الديني في العالم عند بداية القرن الحادي والعشرين، ولا سيما أن في كل ديانة مكاناً للتطور تتكيف من خلاله مع الأزمنة المتغيرة، ذاك المكان الذي يمنع الديانات من الجمود أو التراجع والوقوع في الأصولية التي تقسِّم وتفرِّق وتحاكم نتيجة الجهل بالآخر.

فن الحياة

أنشأ شري شري رافي شنكر حركة "فن الحياة" عام 1982، وهي مؤسَّسة خيرية تهدف إلى تحسين نوعية الحياة جسدياً ومعنوياً عبر التسامي وتطوير إمكانات الفرد الداخلية واتخاذ مواقف اللاعنف من طريقة معرفة التنفس وأساليب أخرى تخفف الضغط عن أكثر من مليوني شخص موزعين على 130 بلداً في القارات الخمس.
يطبق شري رافي شنكر جوهر ديانته عملياً على الأرض، محاولاً إصلاح شوائب الهندوسية، بدءاً بمسكنه في بنغالور، حيث يستقبل المعتنقين والمعلِّمين من طبقات الهند المتعددة ومختلف الديانات، وصولاً إلى منع التجاوزات المتطرفة من بعض الهندوسيين في حق أقلِّيات دينية أخرى في الهند، مروراً باهتماماته البيئية المتنوعة، ليصب كل ذلك في جوهر رسالته التي يحددها بقدسية الحياة، داعياً إلى الاحتفال بها والاهتمام بالقريب ومشاركة ما نملك مع الأقل منا حظاً، لأن العالم كلَّه ملكنا وجميعنا واحد.
لو استهوت أحدَنا هذه الدعوة وصعب عليه تطبيقها، في إمكانه الاستعانة بمعلِّم روحي يساعده على توسيع آفاقه ومنحها مدى مختلفاً من غير أن يخشى فقدان حرية رأيه وتصرفاته، فيكتسب بذلك حرية داخلية، متحرراً من كبت الأفكار والتصرفات الموروثة ثقافياً ودينياً وعاطفياً، متخلِّياً عن سجن الأنا في سبيل اللقاء بالله.
كي يتم هذا اللقاء يمكن للإنسان اختيار طرق عديدة، منها الطاوية، وهي الدرب المنطلقة من الأزمنة قبل أصول الأزمنة والمؤدية إلى الخلود.